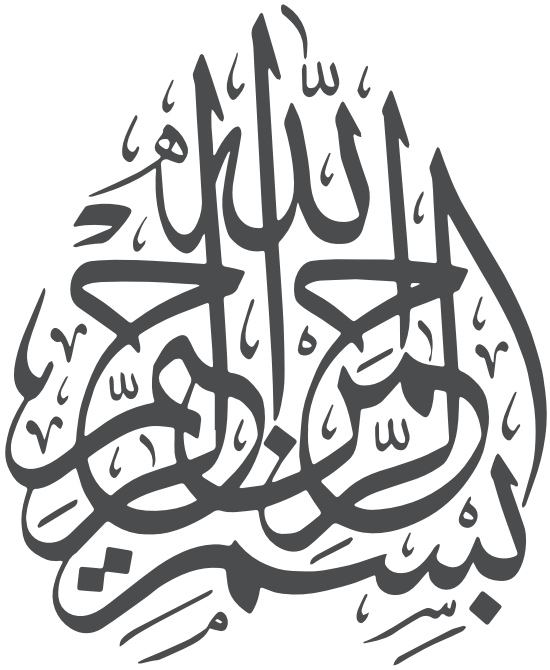
بسم الله الرحمن الرحيم

العنوان: أَثرُ الإمامِ الباقرِ عليه السلام في التمنيةِ المعرفيةِ

الناشر: جمعية العميد العلمية والفكرية / قسم النشر

الإشراف العام: أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

المتابعة والتنفيذ: م.م. ضياء محمد حسن

الإدارة الفنية : م.م. علي رزاق خضير

التصميم و الاخراج الطباعي: احمد هاشم الحلو

عدد النسخ: ٢٥٠

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

٢٣٩،٣

أ ٣٤ أثر الامام الباقر (عليه السلام) في التنمية المعرفية/ مجموعة مؤلفين

.- ط١. - كربلاء : جمعية العميد العلمية والفكرية، ٢٠٢٥

١٤٤ ص ؛ ٢٤ سم.

١. محمد الباقر(عليه السلام) (الامام الخامس)-٢- اهل بيت النبي.

رقم الايداع

١٩٦/ ٢٠٢٥

اثر الامام الباقر عليه السلام في التنمية المعرفية / مجموعة مؤلفين.-الطبعة الاولى.-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، جمعية العميد العلمية والفكرية، قسم النشر، 1446 هـ. = 2024.

144 صفحة ؛ 24 سم.

سلسلة اهل البيت ؛ 4

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

ISBN : 9789922680446

1. محمد الباقر، محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام)، الامام، 57-114 هجري--آراء حول الانحرافات الاخلاقية. 2.التربية الاسلامية (شيعة). أ. العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. جمعية العميد العلمية والفكرية، معد. ب. العنوان.

LCC: BP193.15.A3 A84 2024

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

الفهرسة أثناء النشر

ISBN:978-9922-680-88-0

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٦) لسنة ٢٠٢٥

سلسلة

أهل البيت (٤)

أثر الإمام الباقر عليه السلام في التنمية المعرفية

المحتويات

١١	**أثر الإمام الباقر عليه السلام في التحصين المعرفي للأمة الإسلامية**	**أ.د. أمل عبد الجبار كريم الشرع**
١٢	المقدمة	
١٥	التفقه في الدين	
١٦	الصبر على النوائب	
١٧	تقدير المعيشة	
١٨	المحور الثاني: الإعداد النبوي	
٢١	النتائج	
٢٢	الهوامش	
٢٣	المصادر والمراجع	
٢٥	**التوحيد عند الإمام محمد الباقر عليه السلام**	**أ.د. عبد الكريم عز الدين الأعرجي**
٢٦	المقدمة	
٢٦	سيرته	
٢٨	التوحيد عند أهل البيت عليهم السلام	
٣٥	الزمان والمكان عند الإمام الباقر عليه السلام	
٣٥	التدبير الإلهي عند الإمام الباقر عليه السلام	
٣٨	نتائج البحث	
٣٩	الهوامش	
٤٣	المصادر والمراجع	

٤٥	**الخطاب الإشهاري عند الإمام محمد الباقر عليه السلام (قراءة في ضوء تفاعل الأنساق اللسانية والأيقونية)**	**أ.د. كريمة نوماس محمد المدني**
٤٦	المقدمة	
٤٦	مدخل	
٤٦	مصطلح الخطاب (المفهوم والإجراء)	
٤٧	الإشهار (المفهوم والاشتغال)	
٤٨	مكونات الخطاب الإشهاري	
٤٩	الانزياح اللغوي – التركيبي	
٤٩	انزياح الكلمة المفتاح أو الرمز ودورها في التركيب البنيوي والدلالي	
٥١	انزياح الكلمة الصفة ودورها في التركيب	
٥٢	الازدواج الصوتي والدلالي	
٥٤	التبئير ودلالاته المتنوعة	
٥٤	التبئير التصويري والتمركز المشهدي	
٥٥	التبئير التضادي	
٥٦	المكون الأيقوني (العلاماتي)	
٥٧	البعد الوظيفي الثقافي للعلامات	
٦١	الخاتمة	
٦٢	الهوامش	
٦٥	المصادر والمراجع	

٦٧ **دور الإمام محمد الباقر عليه السلام في تأسيس الاجتهاد الفقهي** **أ.م.د جبار محارب عبد الله**
٦٨ تمهيد
٦٨ المبحث الأوّل: حياة الإمام الباقر عليه السلام
٧٤ المبحث الثاني: في تاريخ الاجتهاد الفقهي عند الشيعة الإمامية
٧٥ المطلب الأوّل: في تحديد معنى الاجتهاد الفقهي
٧٥ الاجتهاد
٧٨ الفقه
٧٩ المطلب الثاني: تأريخ الاجتهاد عند الشيعة الإمامية
٨٢ المبحث الثالث: جهود الإمام عليه السلام في تأسيس الاجتهاد الفقهي
٨٢ المطلب الأوّل: جهود الإمام عليه السلام في مجال اصول الفقه
٨٥ المطلب الثاني: جهود الإمام عليه السلام في علم الفقه والتشريع
٩٠ الهوامش
٩٥ المصادر والمراجع

٩٧ **البنية البلاغية في الرؤية القيمية في رسائل الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام** **د. هدى سعيد بدر العميدي**
٩٨ تمهيد
٩٨ أولا: البنية البلاغية والرؤية القيمية
١٠٠ التنقل بين إنشائية الجملة وخبريتها
١٠٣ الجملة المجازية في رسائل الامام
١٠٦ التكرار في رسائل الإمام عليه السلام
١٠٧ الاقتباس
١٠٩ النتائج
١١٠ الهوامش
١١٢ المصادر والمراجع

١١٣ **دور الإمام الباقر عليه السلام في إنعاش اقتصاد الدولة والفرد** **الشيخ نبيل سرحان كاظم الحسناوي**
١١٤ المقدمة
١١٦ المبحث الأول : تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث (الكلمات المفتاحية) أو(التعريفات اللغوية والإجرائية)
١١٦ المطلب الأول: تعريف الدور لغةً واصطلاحاً
١١٧ المطلب الثاني : التعريف بالإمام محمد الباقر عليه السلام
١١٨ المطلب الثالث : تعريف الإنعاش لغةً و اصطلاحاً
١١٨ المطلب الرابع : تعريف الاقتصاد لغةً واصطلاحاً
١١٩ المطلب الخامس : تعريف الدولة والفرد لغةً واصطلاحاً
١٢٠ المبحث الثاني : المشكلة الاقتصادية وطرق حلها
١٢٠ المطلب الأول : التعرف على بعض أنواع المشاكل الاقتصادية
١٢٢ المطلب الثاني : حل المشاكل الاقتصادية في النظام الاقتصادي الاشتراكي الماركسي
١٢٣ المطلب الثالث : حل المشاكل الاقتصادية في النظام الاقتصادي الرأسمالي
١٢٤ المطلب الرابع : حل المشاكل الاقتصادية في النظام الاقتصادي الإسلامي
١٢٥ المبحث الثالث : إثبات دور الإمام الباقر عليه السلام في إنعاش اقتصاد الدولة والفرد
١٢٥ المطلب الأول : موقع الإمام الباقر عليه السلام من الإسلام وأنه أحد أئمته الكبار وأحد أركانه
١٢٧ المطلب الثاني : دور الإمام الباقر عليه السلام في إنعاش اقتصاد الدولة الإسلامية / القضاء على التدخل الخارجي العابث باقتصاد الدول الإسلامية أنموذجاً
١٣٠ المطلب الثالث : دور الإمام الباقر عليه السلام في إنعاش اقتصاد الفرد المسلم / القضاء على البطالة أنموذجاً
١٣٨ التوصيات والمقترحات
١٤٠ خاتمة البحث
١٤١ الهوامش

كلمة الجمعية

الحمد لله على جزيل نعمه وكثير عطاياه والصلاة والسلام على سيّد الأنام البشير النذير محمّد وعلى آله المعصومين بصريح القول في آي القرآن الكريم أمّا بعدُ

فقد آلى قسم النشر في جمعيّة العميد العلميّة والفكريّة على نفسه وضع خطط سنويّة لإصدار كتب تدرس تراث الأئمة المعصومين ﷺ في ضمن سلسلة (أهل البيت ﷺ) لرفد المكتبات بكتب متخصّصة بدراسة سيرهم وعلومهم ووصاياهم وأحاديثهم التي أثرت الفكر الإسلاميّ .

وفي هذا الاصدار الرابع يغور الباحثون المشاركون في كتابته في تراث الإمام الباقر باقر علم الأولين والآخرين ليكتبوا كثيرا من البحوث الجادة التي زيّنّاها بعنوان (أثر الإمام الباقر ﷺ في التنمية المعرفيّة) ..

ولاشكّ في أنّ الإمام الباقر ﷺ بسعة علمه وتنوّع المجالات التي درّسها لتلاميذه أو تحدّث فيها أو شرح مضامين آيات قرآنية جعلها الباحثون موضوعات لبحوثهم فدرسوا أثر الإمام الباقر ﷺ في تحصين الأمّة معرفيا وتمكينها من مجابهة الانحرافات.

وتناول البحث الثاني قضية مهمّة من قضايا الأصول وهي توحيد الله تعالى مبيّنا مفهوم التوحيد عند الإمام الباقر ﷺ وهو المفهوم الواضح فيما ورد في القرآن الكريم وما أُثر عن النبي محمد ﷺ والأئمّة المعصومين ﷺ ردّا على الحوارات التي تناولت هذا الموضوع باتجاهات مختلفة ومغايرة لما صرّح به أهل البيت ﷺ ..

واستلهم بحث من بحوث هذا الكتاب من أقوال الإمام الباقر ﷺ ورسائله جوانب تعبيريّة لها مقاربات لسانيّة معاصرة ودرس البحث الرابع جهود الإمام الباقر ﷺ في قضايا فقهيّة واقتصاديّة وغيرها

ولا يخامرنا شكّ في أنّ تراث الإمام الباقر ﷺ لا يستقصيه كتاب أو مجموعة كتب بل هو معين ستظل أقلام الباحثين تنهل منه ولا تفيه حقّه لغزارة علمه ولكونه وارث علم الأولين والآخرين .

وأملنا أن يكون هذا الكتاب منارا لرؤى بحثية جديدة ترفد عقولنا بنتائجها وتساهم في إيصال تراث أهل البيت ﷺ إلى الباحثين عن الحقيقة .

جمعية العميد العلمية والفكرية

أثر الإمام الباقر عليه السلام
في التحصين المعرفي للأمة الإسلامية

أ.د. أمل عبد الجبار كريم الشرع

قسم لغة القرآن / كلية العلوم الإسلامية / جامعة بابل

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره ،وسببا الى مزيدٍ من رحمته، ودليلا على آلائه نحمده حمد الشاكرين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد ﷺ، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ الشورى :٢٣

من الذين فرض الله مودتهم في كتابه، وجعل حبهم واتباع سيرتهم حقا مفروضا هو الخامسُ من احفادِ المصطفى، وهو من صفوة الخلق، وحجج العباد ،وسفينة النجاة ،وخير من اقلته الارض، وأضلته السماء بعد جده المصطفى ﷺ حسبا ونسبا وفضلا، هو الإمام محمد بن علي بن الحسين عليه السلام المعروف بالباقر، وهذا اللقب جاء من جده رسول الله ﷺ ،في رواية عن جابر الانصاري رضي الله عنه حينما اعلمه رسول الله ﷺ أنه يدرك ولادة حفيد من أحفاده محمد بن علي الباقر يبقر العلم بقرا .

ولد الباقر عليه السلام في المدينة المنورة سنة سبع وخمسين بعد الهجرة النبوية، في مطلع رجب الأصب ، وبقي مع جده الحسين عليه السلام أربع سنين، ومع أبيه السجاد بعد جده خمسا وثلاثين سنة ،وعاش بعد أبيه ثمانية عشر سنة، وقيل تسعة عشر سنة حسب رواية الكافي ،أما وفاته فكانت في خلافة هشام بن عبد الملك ، وقيل في مطلع حكم إبراهيم بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك ،سنة ١١٤ هجرية، وله سبعة أولاد بين ذكر وأنثى أكبرهم الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وفي ايام طفولته كانت المحنة الكبرى التي مرت على آل البيت عليهم السلام في كربلاء، وشاهد جميع الرزايا والمصائب التي توالت عليهم من أولئك الحكام الطغاة .زوجته كانت فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر المكناة بأم فروة.

كان إماما مفروض الطاعة، وكان لايبخل في النصيحة حتى ولو كان من ألد خصمائه واعدائه، وبخاصة اذا كانت لمصلحة الإسلام، وهناك حادثة مشهورة تناقلتها كتب التاريخ

الإسلامي حيث كانت الروم هي المسيطرة على اقتصاد الدولة الإسلامية آنذاك، بحيث كانت تطرز الثياب والاواني بقراطيس الروم في مصر وتبعثها الى الدول الإسلامية ،فمنع عبد الملك بن مروان هذه النقوش واستبدالها بنقوش إسلامية، فبعث ملك الروم هدية لعبد الملك بن مروان لكي يرضيه ويتراجع عن الأمر ،فرد عليه هديته وبقي على اصراره إلا أن ملك الروم هدد بأن ينقش على الدراهم و الدنانير شتم النبي صلى الله عليه وآله ،فضاق الامر بعبد الملك، فاشار عليه روح بن زنباع عليك بالباقر وهو من آل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وكان الباقر عليه السلام بالمدينة فكتب إليه أن يحضر إلى الشام فلبى الدعوة، وحل الامر بوضع خطة يستحيل التلاعب في وزن النقود والكيفية التي يتم صنعها، فأمرهم أن يكون الوجه الأول من النقود نقش سورة التوحيد وعلى الوجه الثاني محمد رسول الله، ويكون التداول فقط بالعملة الإسلامية، وإبطال ما كان متداولا في بلاد المسلمين من العملة الرومية.

وكانت بلاد الروم تحسب أن الضغط بالنحو الذي هددت به المسلمين ورقة رابحة بيدها، ؛لكنها فشلت مزاعمها بمعرفة الإمام الباقر عليه السلام[1] الذي هواول من سن الكتابة الإسلامية على نقود الفضة والذهب .

ومن مقومات التحصين لدى الإمام قسمت ورقتي البحثية المتواضعه على محورين

المحور الاول: الإعداد اللدني.

والمحور الثاني : الإعداد النبوي.

المحور الأول:الإعداد اللدني:

يتجسد الإعداد اللدني في شخصية الإمام الباقر عليه السلام والمتمثلة بمفاهيم عدة منها : (الحكمة، والتمكين ،والنور ،والاتيان، والفهم). وقمة هذه العلوم هو اليقين الذي يبدا من العلم الإلهي إللدني والذي ورد في الأحاديث النبوية الشريفة ،وتعاطى معها جل من لهم درجة من الإيمان. وقد تحدث الأنبياء والأئمة الصالحون عن مراتب هذه الدرجة، وأشاروا إلى مزاياها وفوائدها بماعرف عنهم من توجه من حيث ماتضمنته من مقدمات واحوال كالتوكل على الله ،والرضا والمحبة في الله، والصبر والشكر ،والاخلاص وغيرها من

الاعـدادات التـي مثلـت مقامـات غرسـها الله تعـالى في أنبيائـه والصالحـين مـن عبـاده، وتواتـرت فيهـم جيـلا بعـد جيـل، ليصطفيهـم بذلـك العلـم عـلى العالمـين[٢] .

يقـول الحـق تعـالى : ﴿إِنَّ اللهَّ اصْطَفَـىٰ آدَمَ وَنُوحًـا وَآلَ إِبْرَاهِيـمَ وَآلَ عِمْـرَانَ عَـلَى الْعَالَمِـينَ ذُرِّيَّـةً بَعْضُهَـا مِـن بَعْـضٍ وَاللهَّ سَـمِيعٌ عَلِيـمٌ ﴾[٣] فـالله اختـار هـذه البيـوت وميزهـا عـن جميـع خلقـه وعـلى سـائر أهـل الأرض ابتـدأ بـآدم ﷺ الـذي خلقـه مـن أديـم الأرض، ونفـخ فيـه مـن روحـه، وأمـر الملائكـة بالسـجود لـه طاعـة، وإجلالا،؛وليـس عبـادة ،وعلمـه اسـماء سـائر المخلوقـات ،والاصطفـاء الثـاني : لنـوح ﷺ الـذي مثـل البدايـة الثانيـة للحيـاة بعـد آدم ﷺ عندمـا اسـتجاب آلله دعوتـه واغـرق مـن عـلى وجـه الأرض مـن الكافريـن مـن جهـة ومـن جهـة أخـرى سـن الشرائـع التـي تجعـل الإنسـان بمنزلـة أرفـع شـأنا، وأعـلى مرتبـة واكثـر تكريـما عندمـا أوحـى لـه الحـق بتحريـم البنـات، والاخوات،،والعمات،والخـالات وسـائر الارحـام[٤] ،والاصطفـاء الثالـث: كان لإبراهيـم ﷺ وعشـيرته وذوي القربـى الذيـن اتبعـوا نهجـه وسـاروا عليـه ومنهـم خاتـم الأنبيـاء، لتظهـر في ذريتـه النبـوة والكتـاب ،والحكمـة ،فـكان الخليـل وكانـت الامـة.

امـا الاصطفـاء الرابـع :فـكان لآل عمـران ومنهـم عيسـى بـن مريـم ﷺ، فهـو المختـار عـلى عـالم زمانـه، وهـذا يؤكـد أن الانبيـاء والمرسـلين وذراريهـم مـن أصـل واحـد، نهلـوا علـما واحـدا امتـد بعضهـم مـن بعـض بتسلسـل ربـاني غايـة في الإتقـان، وقـد اقتضـت المشـيئة الإلهيـة ان تتقـدم ذريـة آل إبراهيـم في الآيـة عـلى ذريـة آل عمـران للسـبق الزمنـي مـع ان النبـي المصطفـى وذريتـه جـاء خاتمـة لتلـك السلسـلة العظيمـة فكانـوا ان نهلـوا مـن العلـم الإلهـي الكـوني، وهـو علـم ربـاني إلهامـي لاواسـطة في حصولـه بـين النفـس ،وبـين البـاري عزوجـل ، وإنـما هـو الضـوء مـن سراج الغيـب يقـع عـلى قلـب صـاف فـارغ لطيـف لأنهـم أصـح العقـول واقواهـا وامتنهـا واصفاهـا .[٥] وهـم فضـل العلـوم والمعـارف المنضويـة تحتهـم

ولأن هـذا الإعـداد قائـم عـلى مفاهيـم التحـلي، والتخـلي ، والتجـلي الممتـددة مـن قـوى روحيـة لا حـد لهـا مـن الايـمان العميـق بـالله ؛لـذا نجدهـا ارتبطـت بسـبيل واحـد و سلسـلة امتـدت عـبر

الأزمان توارثتها الأنبياء، والرسل فكانت شعلة مضيئة في حياة الإمام الباقر عليه السلام صاحب المكانة العظمى التي لم يرق لها أحد ،وقد افرز هذا الإعداد الإلهي مجموعة من الأركان التي مثلت قمة الكمال في حياته عليه السلام كما ياتي:

١- التفقه في الدين: أما علمه فهو يتلقى المعرفة والأحكام الإلهية، وجميع المعلومات عن طريق النبي او الإمام الذي قبله ،وإذا استجد شيء لابد ان يعلمه عن طريق الإلهام والقدسية التي اودعها الله تعالى فيه ،فانه لايخطا فيه ولايشتبه عليه الامر ولايحتاج في كل ذلك إلى البراهين العقلية ولا إلى تلقينات المعلمين أو إلى التفكير وترتيب المقدمات ،وتتجلى في نفسه المعلومات كما تتجلى المرئيات في المرآة الصافية، فعلمه قابلٌ للزيادة والاشتداد، صدق رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال : (رب زدني علما) ان قوة الإلهام عند الإمام التي تسمى القوة القدسية تبلغ الكمال في أعلى درجاته بحيث ما سألوه عن شيء الا اجاب عليه في وقته ولا يؤجل الجواب إلى المراجعة اوالتأمل ،اذ قال الإمام الباقر عليه السلام: ((من أفتى الناس بغير علم ولاهدى لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه)).[٦] وهو صاحب الإلهام الوحي الإلهي علمه فيض رفيع صادر من السلالة الطاهرة أمراء الكلام وسلاطين البلاغة ،فحجته قاطعة وأحكامه مطابقة فعقله هو الشرع الباطن والنور الداخل.

وله مواقف كثيرة مع زعماء الفرق وعلماء المذاهب كان يخرج منتصرا على خصومه، ويبدو من مواقفه ومناظراته انه كان ذكيا قوي الحجة ياخذ خصمه من حيث لا يشعر ويحكمه منطقه كما يشير ذلك إلى موقفه مع الخارجي الذي دخل مجلس الإمام الباقر عليه السلام وقال له :يا أبا جعفر اي شيء تعبد؟ قال له :اعبد الله ،فقال هل رأيته؟ فقال الإمام: لم تره العيون بمشاهدة العيان ،ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان لا يعرف بالقياس ،ولايدرك بالحواس ،ولايشبه الناس ،موصوف بالآيات ،لايجور في حكم ذلك هو الله لا إله إلا هو ،فخرج الرجل وهو يقول :الله أعلم حيث يجعل رسالته .[٧] ولابد لنا من أن نتحدث عن دوره التأسيسي لجامعة آل البيت عليهم السلام التي تخرج منها العديد وحملوا اثارها إلى مختلف الاقطار

،فمن هؤلاء ابان بن تغلب بن رياح ابو سعيد البكري الذي عاصر ثلاثة من أئمة الشيعة واخذ عنهم ،فصلته بالباقر عليه السلام أطول من صلته بالإمامين السجاد والصادق عليهما السلام ،ومن تلاميذه زرارة بن اعين وكان مرجعا في الفقه والرواية على مذهب آل البيت عليهم السلام ،وفيه يقول الصادق عليه السلام:لولا زرارة لظننت ان أحاديث أبي ستذهب[٨]

ب- **الصبر على النوائب** :الصبر على المصائب والنوائب شديدة عليه يحبس نفسه عن الجزع تعظيما لله سبحانه وتعالى وهذا الشكر بعينه ؛ لان الصبر يستدعي ألما ويؤيد :قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٩]وقوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[١٠] فصبر عليه السلام على المصيبة التي حلت بآل بيته فقد ابتلي ببلاء الصبر فصارت عليه نعمة ، فالصبر على البلاء عظم ثوابه واجره

والصبر على الطاعة يحتاج المطيع إليها قبل العمل فيها تصحيح نية الاخلاص وتطهيرها من شوائب الرياء، ولئلا يغفل عن الله في اثنائه. فالصبر عليه شديد في غاية الصعوبة ولاينالـه إلا الاولياء والوصول إليه يتوقف على اليقين التام ، ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ((أسألك من اليقين مايهون عَلَيّ مصائب الدنيا))[١١] ومن كمال الصبر كتمان النوائب،إذ قال الإمام الباقر عليه السلام : ((الصبر الجميل ليس فيه شكوى إلى الناس)) إذ أنه لم يشكُ جور بني أمية وفي هذه الظروف انطلق لأداء رسالته على الرغم من الكوارث والفتن الزاخرة كالبحر الهائج بامواج التشبه والضلالات والادعاءات والمنازعات فقاوم معها بحيث لايخرجها عن سعة صدره، لان الصبر في كظم الغيظ هو الحلم بعينه ،لأنه يمتلك العقلية المنفذة لاحكامه المؤدية إلى الفوز والفلاح والهداية إلى طريق الخير والصلاح و يتحلى بأخلاق الايمان، وذلك لما سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الإيمان قال :((هو الصبر لأنه أكثر اعماله واشرفها))[١٢]، وقد ورد ان الإمام محمد الباقر عليه السلام قال لجابر الأنصاري ،وقد اكتنفته علل واسقام ،وغلبه الضعف والهرم كيف تجد حالك؟،قال جابر:انا في حالة الفقر احب الي من الغنى ،والمرض احب الي من الصحة،والموت احب الي من الحياة فقال عليه السلام: أما نحن آل البيت فيما يرد علينا من الله من الفقر والغنى ، والمرض والصحة ،والموت

والحياة ،فهو احب إلينا، فقام جابروقبل بين عينيه ،وقال :صدق رسول الله صلى الله عليه وآله إذ قال لي :ياجابر ستدرك واحدا من أولادي اسمه اسمي يبقر العلم بقرا [١٣] ، قال عز من قائل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[١٤] وقال صلى الله عليه وآله : ((الصبر كنز من كنوز الجنة)) وقال صلى الله عليه وآله ايضا : ((أفضل الاعمال ماكرهت عليه النفوس))[١٥]

ج-تقدير المعيشة:الزهد من علامات الراغب في ثواب الآخرة ،والزهد الحقيقي ترك المال والجاه وعن أئمتنا قولهم الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار[١٦] يقول الباقر عليه السلام: ((مروة الصبر في حالة الحاجة والفاقة والتعفف والغنى اكثر من مروة الاعطاء)) [١٧]فإن الاكتفاء من المال بقدر الحاجة والكفاف، وعدم الاهتمام فيما زاد عن ذلك وهي صفة كريمة تعرب عن عزة النفس، وشرف الوجدان ،وكرم الأخلاق، ومن ما أثر عن فضائل الإمام الباقر عليه السلام قال : ((من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس)) [١٨] واستعرض الإمام في حديثه مع اصحابه الاوضاع في هذا العصر وقسوة الحكام على الشيعة وإسرافهم في إراقة الدماء وتجويعهم وتشريدهم بين الأقطار وشراء الذمم بالأموال والطيب والطعام للدس؛ لأن توجد أطياف متعددة لديها خلاف مع الدين منذ اللحظة الأولى لوجود الدين ،وهذا الخلاف يتسع ويضيق بين خلاف التفسير والمواقف من أفكار آل البيت والكذب في احاديث الرسول صلى الله عليه وآله، واستعرض في حديثه الدور الذي قام به الحجاج مع الشيعة حتى شردهم من البلاد وأذاقهم جميع أنواع البلاء وصنوف العذاب[١٩] ، وكان عليه السلام دائماً يعظ ويحث أصحابه على التعاون والسعي في قضاء حاجة ومعونة أخيه المسلم بقوله : ((ما من عبد يبخل بنفقة ينفقها فيما يرضي الله إلا ابتلي بان ينفق اضعافها فيما اسخط الله)) [٢٠]وهذا مما يؤيد ويثبت مدى تعلق الإمام عليه السلام بربه وعبرفي الوقت نفسه عن نفس تمرست في عشق بارئها عزوجل ،وطلب القرب منه،واستجلاب لطفه العميم، والتوجه إليه بكل كيانه، اي بروحه، وقلبه، وجوارحه مما لايكون إلا عند اولياء الله سبحانه وتعالى.

المحور الثاني :الإعداد النبوي

لابد من الإشارة في هذا المقام إلى حقيقة مفادها أن النبوة لطف من الله فلابد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي ﷺ في وظائفه من هداية البشر وارشادهم إلى ما فيه الصلاح ، وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ،ومصالحهم ،واقامة العدل بينهم، ودفع الظلم والعدوان من بينهم [٢١] وعلى هذا الاساس فالإمامة إستمرار للنبوة والدليل الذي يوجب ارسال الرسل وبعث الانبياء ؛هو نفسه يوجب تنصيب الإمام بعد الرسول ((ان الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي او لسان الإمام الذي قبله ،وليست هي بالاختيار او الانتخاب من الناس ،وعليه لايخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة من الله تعالى سواء ابى البشر ام لم يأبوا ،وسواء ناصروه ام لم يناصروه ، اطاعوه أم لم يطيعوه ،حاضرا ام غائبا)) [٢٢] قال تعالى :﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[٢٣] وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [٢٤] فالعلوم والمعارف التي تلقاها لا تخضع لتحديد أو تأطير، فهي كثيرة ومختلفة بحسب ما تختص به، فإما أن تكون عقلية مصادرها العلوم التجريدية كالمنطق ، والرياضيات ،والفلسفة وغيرها من العلوم الاخرى، وهي تقتضي التعقل والتدبر والتفكير .وأما ان تكون نقلية، أو شرعية فمصدرها القرآن الكريم ،والسنة النبوية، والسيرة، وهي قوانين ثابتة يجب العمل بها. فالإمام الباقر عليه السلام كان قد نشأ في بيت من اعظم البيوت واشرفها هو بيت آل محمد ﷺ مهبط الرسالة ومعدن الوحي ،حيث حظي باهتمام بارز من جده الحسين ، وأبيه زين العابدين عليهما السلام، وهما يهيئانه للدور القيادي الذي انيط به فيما بعد ،فكانت مصاحبته وملازمته لأبيه طيلة ما يقارب خمس وثلاثين سنة ، مما افرغ عليه بريقا من روحه المقدسة التي اشرقت في هذا الكون ،وافاض عليه ما استقر في نفسه من نور النبوة، وهدي الرسالة [٢٥] ، فعن الباقر عليه السلام قال : لما حضرعلي بن الحسين الوفاه ضمني إلى صدره ثم قال : ((يا بني اوصيك بما اوصاني به أبي حين حضرته الوفاة ،وبما ذكر ان أباه أوصاه به قال : يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرا إلا الله تعالى)). [٢٦]

لقد نهل الإمام الباقر عليه السلام في مراحل نشأته الأولى من بيت النبوة متمثلا بشخص جده الإمام الحسين عليه السلام، من خلال المدة الزمنية التي قضاها معه ،ويظهر ذلك في قوله : ((قتل جدي الحسين ولي اربع سنين، واني اتذكر مقتله ،وما نالنا في ذلك الوقت)) [٢٧] . وقد أدى هذا الارتباط إلى أن ينهل من ذلك المعين ما أهله ان يكون باقرا للعلوم، فعرف اصلها وخفيها.

اما النص على إمامته عليه السلام فلم تقتصر على إمامة جده أمير المؤمنين عليه السلام فحسب ؛ بل امتدت لأبنائه وأحفاده من بعده ،وقد تمثل ذلك بقول النبي صلى الله عليه وآله: ((الأئمة من ولد الحسين من أطاعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصا الله هم العروة الوثقى، وهم الوسيلة إلى الله)). [٢٨]

عاش الإمام محمد الباقر عليه السلام بين اخوته خليفة لابيه علي بن الحسين عليه السلام ووصيه،والقائم بالإمامة من بعده، وبأعلى من حوله من الأهل والأصحاب بالفضل في العلم والزهد والسؤدد، وكان اكثر ذكرا واجلهم في العامة والخاصة ،واعظمهم قدرا، ولم يظهر عن احد من ولد الحسن والحسين عليهما السلام من علم الدين والآثار والسنة ،وعلم القرآن والسيرة ،فضلا عن الفنون والآداب، ومن صفاته انه كان كثير الذكر في مشيه وقيامه وقعوده، وأثناء اكله وشربه ، لا ينقطع عن ذكر الله ،وتمجيده، وتسبيحه والتفكير في ملكوته، فكان يجمع ولده فيأمرهم بالذكر حتى تطلع الشمس، وبقراءة القرآن من كان يقرأ، ومن كان لا يقرأ منهم أمره بالذكر. وكان ظاهر الجود في الخاصة والعامة معروفا بالكرم والاحسان على الرغم من كثرة عياله وتوسط حاله.

كان الإمام عليه السلام مقصد العلماء من كل بلاد العالم الإسلامي، وما زار المدينة أحد الا وزار بيته، يأخذ من فضائله وعلومه ،وكان يقصده كبار رجال الفقه الإسلامي امثال سفيان الثوري، وأبي حنيفة، على الرغم من الظروف الصعبة التي مرت به عليه السلام، غير أنه أستطاع ان يعد وينشأ أعدادا كثيرة من الفقهاء والعلماء والمفسرين، إذ كان المسلمون يقصدونه من شتى بقاع العالم الإسلامي، وقد دانوا له بالفضل بشكل لا نظير له ،ولم يكن منعزلا عن

آحداث الساحة الإسلامية ليخوض صراعا مريرا وقاسيا ضد العقائد المنحرفة التي شاعت في عصره ،وأسهمَ بشكل فاعلٍ في توعية الجماهير ضد هذه الانحرافات الفكرية والعقائدية، وسعى لرفع شأنها والحفاظ على كرامتها بالبذل المادي والعطاء المعنوي في عصر هو أدق العصور الإسلامية، وأكثرها حساسية حيث الفرق الإسلامية والأحزاب السياسية ،وبوادر الردة إلى الجاهلية بسبب سيطرة الأفكار الخاطئة التي نهى عنها الإسلام والفخر بالاباء والانساب والطعن بالاحساب، وعودة العصبية القبلية، وانتشار مظاهر البذخ والترف التي شجع عليها خلفاء بني أمية، فشاع الثراء الفاحش غير المشروع ،وعادت مجالس اللهو والطرب ،فما كان من الإمام عليه السلام الا ان يتصدى لكل هذه العادات السيئة والانحرافات التي هددت بزعزعة قواعد الدين الإسلامي ، والنهج الذي وضعه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وآل بيته ،فأقام مجالس الوعظ والارشاد، كما وقف بوجه الفرق المنحرفة ،واهتم برعاية مدرسة آل البيت التي كانت قبلة للكثير من العلماء الذين نهلوا منها العلوم والمعارف المختلفة كالفقه والعقيدة ،والتفسير وعلم الكلام [٢٩]

النتائج

١-كان الإمام الباقر ﷺ زاهدا ورعا صابرا على نوائب الدهر وفضول العيش ،في زمن تتضارب فيه الفتن والإضطرابات ،والعقائد المنحرفة عن جادة الصواب في زمن حكم بني امية.

٢-قاوم هؤلاء الحكام بحلمه، وكظم غيظه وصبره على المشاق ،وسعة صدره، بحيث كان ناصحا امينا حتى مع ألد اعدائه.

٣- أن قوة الإلهام عنده تسمى بالقوة القدسية تبلغ الكمال في اعلى درجاته ،لانه يتلقى المعارف والأحكام الإلهية، وجمع المعلومات عن طريق آبائه.

٤-قاوم الاوضاع المنحرفة بتأسيسه هو وابنه الصادق ﷺ جامعة آل البيت، إذ تخرج منها جل الفقهاء والعلماء والمفسرين، وحفاظ الحديث ،ونشروا علومهم في مختلف الأقطار الإسلامية .

٥- فكان عقله حجة الله الواجب امتثاله ، وهو أصح العقول وأقواها وامتنها .

٦- وهو إمام مفروض الطاعة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق في هذا البحر المائج الزاخر بامواج الضلالة والفتن، والكفر والجهل ،والعادات المنحرفة.

الهوامش

١-ينظر : سيرة الأئمة:مج ٢/ ٢١١-٢١٥.
٢-ينظر: العلم الإلهي اللدني:١٩-٢٠.
٣-سورة آل عمران :٣٣،٣٤.
٤-ينظر : حقيقة المسيح والتثليث:١٥٢.
٥-ينظر:تفسير القاسمي:١١/ ٤٠٩٧.
٦-جامع السعادات:١ / ١١٦.
٧- سيرة الأئمة:مج٢/ ٢٠٠-٢٠٣.
٨-المصدر نفسه:مج٢/ ١٩٧.
٩- سورة الزمر :١٠.
١٠- سورة البقرة ١٥٥،١٥٦.
١١-جامع السعادات:٣/ ٢٤١.
١٢-المصدر نفسه:٣/ ٢٢٦.
١٣-المصدر نفسه:٣/ ٢٢٩.
١٤- سورة السجدة:٢٤.
١٥-جامع السعادات:٣/ ٢٣٠.
١٦-بحار الأنوار:٢/ مج ١٥،باب الزهد:١٠٠.
١٧-جامع السعادات:٣/ ٢٤٦.
١٨-الوافي عن الكافي :٣/ ٧٩.
١٩-ينظر :سيرة الأئمة:مج٢/ ١٨٨.
٢٠-ينظر :المصدر نفسه:مج٢/ ٢١٩.
٢١-عقائد الإمامية :٦٥-٦٦.
٢٢-المصدر نفسه:٦٦.
٢٣- سورة الرعد :٧.
٢٤- سورة فاطر :٢٤.
٢٥-ينظر :كشف الغمة في معرفة الأئمة:٢/ ٦٧٥.
٢٦-الوافي عن الكافي:٣/ ١٦٢.
٢٧-المجالس السنية في مناقب العترة النبوية :٥/ ٤٣٧-٤٣٨.
٢٨-عيون أخبار الرضا:١/ ٦٣.
٢٩-ينظر اضاءات من حياة الإمام الباقر عليه السلام:على الرابط

www.aLaLamtv.net.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.
* اضاءات عن حياة الإمام الباقر ﷺ على الرابط www.aLaLamtv.net.
* بحار الانوار -محمد باقر المجلسي ت ١١١ هجرية- دار الكتب الإسلامية-طهران -د-ت.
* تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل-محمد جمال الدين بن سعيد القاسمي -تحقيق محمد باسل عيون السود -دار الكتب العلمية -بيروت ط١ ١٤٢٤هجرية .
* جامع السعادات -الشيخ محمد مهدي النراقي ت ١٢٠٩هجرية-،تحقيق العلامة السيد محمد كلانتر- دارالنعمان للطباعة النجف الاشرف-د-ت.
* سيرة الأئمة الاثني عشر-حاتم معروف الحني- بيروت ١٤٣٠هجريه-٢٠٠٩م.
* عقائد الإمامية-الشيخ محمد رضا المظفر-تحقيق عبد الكريم الكرماني-مؤسسة الرافد للمطبوعات- بغداد ط١-٢٠١١م.
* العلم الإلهي اللدني -د-سعدات جبر- جامعة القدس المفتوحة.
* عيون أخبار الرضا- ابو محمد جعفر محمد بن علي الصدوق-تحقيق حسين الاعلمي-المطبعة الحيدرية -النجف الاشرف ١٣٩٠ هجرية.
* كشف الغمة في معرفة الأئمة-بهاء الدين بن علي بن عيسى الاربلي-بيروت ط٢ ١٩٨٥ م.
* المجالس السنية في مناقب العترة النبوية-محسن الأمين الحسيني العاملي-مطبعة امير قم د-ت .
* الوافي عن الكافي -محمد محسن بن مرتضى الفيض الكاشاني تحقيق السيد علي بحر العلوم -دار احياء التراث العربي-ايران١٤٣٠ هجرية.

التوحيد عند الإمام محمد الباقر عليه السلام

أ.د. عبد الكريم عز الدين الأعرجي

جامعة بغداد / كلية التربية للبنات / قسم التاريخ

المقدمة

يتميز تراث أئمة أهل البيت عليهم السلام بالأصالة والنقاء والقدرة على التأثير في الآخرين بسبب عمق وبساطة هذا التراث، ويعزى ذلك إلى انتماء هذه المدرسة المباركة إلى بيت النبوة والوحي والرسالة، ولذلك فهنالك الرعاية والعناية الإلهية في توجيه ومسار فكر أهل البيت عليهم السلام.

ومن أهم الركائز الفكرية لأئمة أهل البيت عليهم السلام هي الدعوة إلى دراسة التوحيد ومباحثه بالصورة السليمة والتي تتماشى مع قيم ومبادئ الإسلام المحمدي، وبالصورة التي تسهمُ في تعزيز العلاقة بين الإنسان وخالقه.

وأن الإمام محمد الباقر عليه السلام، قد عاش في فترة تاريخية حرجة ومهمة، فجده الإمام الحسين عليه السلام، سيد الشهداء وأصلب المدافعين عن الحق، وأبيه الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام صاحب الصحيفة السجادية، هذه الصحيفة المليئة بالحب والعشق الإلهي في أجمل صوره، وابنه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، صاحب المذهب الأصيل المعروف، والذي تزامنت مع فترة حياته ظهور حركة الزندقة، ودور الإمام الصادق عليه السلام في مواجهة هذه الحركة والرد على أباطيلها.

ولذلك ومن خلال هذا البحث فإني وجدت بأن الإمام محمد الباقر عليه السلام، كان له الدور الكبير في تعريف المسلمين بمنابع الإسلام الأصيل في مسائل التوحيد، فجاءت أحاديثه وتعاليمه بالأصالة والفكرة السديدة القادرة على إقناع الخصوم، وقد اعتمدنا في ذلك على أهم المصادر والمراجع المعتبرة في سبيل إنجاز البحث.

سيرته:

هو الإمام محمد الباقر أبو جعفر محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ولد الإمام الباقر عليه السلام بالمدينة سنة سبع وخمسين للهجرة، يوم الجمعة غرة رجب، وقيل الثالث من صفر، وقبض عليه السلام سنة أربعة عشر، ومائة في الحجة، وقيل: في شهر ربيع الأول، وقد تم عمره الشريف سبعاً وخمسين سنة.

وأمه أم عبد الله فاطمة بنت الحسن، فعاش مع جده الإمام الحسين عليه السلام سبع سنين، ومع

أبيه تسعاً وثلاثين سنة، وكانت مدة إمامته ثماني عشرة سنة.

وقد عاصر الإمام عليه السلام: الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك[1].

سيرة الإمام عليه السلام في المصادر التاريخية:

لقد تم ذكر سيرة الإمام الباقر عليه السلام في المصنفات التاريخية والأدبية الفقهية القديمة الشيعية والسنية على حدٍ سواء، ومما يلفت النظر هو ذلك المديح والثناء على سيرة الإمام عليه السلام في مصنفات المذاهب الأخرى فيذكر لنا أبو نعيم الأصبهاني في حليته، عن عبد الله بن عطاء[2]، قال: "**رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر لقد رأيت الحكم عنده كأنه متعلم**"[3].

وقيل عنه بأنه سيد فقهاء الحجاز ومنه ومن ابنه جعفر تعلم الناس الفقه، وهو الملقب بالباقر، باقر العلم، لقبه بهِ رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يُخلق بعد، وبشر به، ووعد جابر بن عبد الله برؤيته، وقال: ستراه طفلاً، فإذا رأيته أبلغه عني السلام، فعاش جابر حتى رآه، قال له ما وصي به[4].

وفي سيرته العطرة، فأن المؤرخ والمحدث المعروف الذهبي، يشير إلى أنّ الإمام الباقر عليه السلام، قد جمع بين العلم والعمل والسؤدد والشرف والثقة والرزانة وكان محل للخلافة، وشهر أبو جعفر بالباقر من بقر العلم شقه فعرف أصله فيه[5].

وقيل عنه أنّه كان في جمع العلم والفقه والديانة والثقة والسؤدد، وكان يصلح للخلافة[6].

أما المؤرخ والفقيه ابن كثير فإنه يصف الإمام الباقر عليه السلام بالقول بأنه تابعي جليل كبير القدر كثيراً، أحد أعلام هذه الأمة علماً وعملاً وسيادة وشرفاً[7].

وتحدث عنه صاحب (الصواعق المحرقة) واصفاً إياه، بأنه من بقر الأرض أي شقها وآثار مخباتها ومكامنها، فلذلك هو أظهر من مخبّات كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحِكَمَ واللطائف، ما يحفى الأعلى منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة، ومن تم قيل فيه: هو باقر العلم وجامعه، وشاهر علمه ورافعه، صفا قلبه وزكا علمه وعمله، وظهرت نفسه

وشرف خلقهُ وعمرت أوقاته بطاعة الله، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكل عنه ألسِنة الواصفين وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف[٨].

لقد أوردنا بعض المصادر القديمة التي تناولت السيرة العطرة للإمام محمد الباقر ﷺ، وهنالك العديد من المصادر الأخرى التي تناولت هذا الموضوع، وهذا غيض من فيض.

التوحيد عند أهل البيت ﷺ:

تتسم مدرسة أهل البيت ﷺ، بتناولها قضية التوحيد بطريقة عفوية وصميمية نابعة من الإرث المحمدي الأصيل وبيت النبوة، ولذلك جاءت متبنيات هذه المدرسة في موضوع التوحيد بالأصالة والعمق ومعالجة جميع الإشكالات التي تحيط بمباحث التوحيد، لترتقي بنا للوصول إلى التوحيد الفطري والنقاء الحقيقي بين الإنسان وربه.

إذ أن أغلب مباحث التوحيد عند الإمامية قد خرج من تمسكهم بالحديث والذي امتزج بفلسفتهم الإلهية؛ ولذلك فإن أحاديثهم تختلف عن ما رواه غيرهم من المسلمين، لأنها تشتمل على سلسلة تختزن مسائل عميقة في ما وراء الطبيعة وفي الاجتماع فأصبحت مورداً للبحث والتحليل المنطقيين.

فمثلاً إذا ما ورد كلام عن القضاء والقدر والإرادة الشاملة للحق تبارك وتعالى، وعن أسماء الباري وصفاته، وعن الروح والإنسان، وعن عالم ما بعد الموت والحساب والكتاب والصراط والميزان، وعن الإمامة والخلافة، فإن الإمامية قد طرحت هذه المسائل كافة، وأخضعتها لأصول الاستدلال، ولذلك لم ينقسم الشيعة إلى فريقين أهل حديث، وأهل كلام، كما أنقسم الآخرون في ذلك.

فالتوحيد عند الإمامية يشمل فضلاً عن توحيد الذات والتوحيد في العبادة توحيد الصفات وتوحيد الأفعال، بمعنى أن الإمامية في بحث الصفات يلتزمون بالتوحيد الصفاتي ومعناه بأن ذات الله هو عين صفاته، وأن كل صفة إلهية هي عين الصفة الأخرى من الصفات الكمالية لله تعالى والاعتقاد بالتوحيد الصفاتي يقتضي أيضاً الاعتقاد بأنه لا شبيه له في صفاته الذاتية، فهو أي العلم والقدرة لا نظير له[٩].

وفي بحث الأفعال فإن الإمامية يلتزمون بالتوحيد الأفعالي، ويعني الاعتقاد بأن موجودات العالم مخلوقة لله تعالى وتابعة له وغير مستقلة ذاتاً عنه، أما التوحيد الصفاتي عند الإمامية فإنه يتفاوت مع التوحيد الصفاتي عند المعتزلة، كذلك فالتوحيد الأفعالي عند الشيعة يغاير التوحيد الأفعالي عند الأشاعرة[١٠].

أولاً: صفات الله عند الإمام الباقر عليه السلام:

تتميز مدرسة أهل البيت عليهم السلام بأنها قامت على الوحي الرسالة والنبوة، وأنها الانعكاس الحقيقي لمعنى العشق والذوبان في الحب الإلهي، وأن الإمام الباقر عليه السلام هو الامتداد الحقيقي لهذا المعنى، وقد ذكر لنا بريد العجلي[١١]، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام، يقول: (بِنَا عُبِدَ الله، وَبِنا عُرِفَ الله، وَبِنا وُحِّد الله تبارك وتعالى، ومحمد حجاب الله تبارك وتعالى)[١٢].

ويتضح لنا بأن الإمام الباقر عليه السلام، كان دائم الاتصال في هذا العشق الإلهي وفي الظروف والأحوال كلها، وهذا ما يحدثنا به (أسود بن سعيد)[١٣]، قائلًا: (كنت عند أبي جعفر عليه السلام فأنشأ يقول ابتداءً منه من غير أن أسأله: نحن وجه الله، ونحن عين الله في خلقه، ونحن ولاة أمر الله في عباده)[١٤].

وقد حثَّ الإمام الباقر عليه السلام جموع المسلمين إلى عدم الخوض والجدال في الصفات والذات الإلهية، على وجه الخصوص لعوام الناس، لأن ذلك سيؤدي إلى فرقتهم وتفتيت وحدة الأمة، وهو جدل في موضوع عقيم، قائلاً في ذلك: (دعوا التفكر في الله فإن التفكر في الله لا يزيد إلا تيهاً لأن الله تبارك وتعالى لا تدركه الأبصار ولا تبلغه الأخبار)[١٥].

ويرى الإمام الباقر عليه السلام أن أفضل وسيلة للوصول إلى معرفة الله سبحانه وتعالى من خلال التمعن والتدقيق في صناعة هذا الكون الفسيح وأسراره وتنظيمه المتناهي رفيع الإتقان، قائلاً: (إياكم والتفكر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمة الله فانظروا إلى عظيم خلقه)[١٦].

وإن صفات الله هي عين ذاته، وهو المنفرد الأزلي لهذه الصفات لا يشاركه ولا يشبهه أحد في تلك الصفات، قائلاً في ذلك: (أذكروا من عظمة الله ما شئتم ولا تذكروا ذاته فإنكم لا تذكرون منه شيئاً إلا وهو أعظم منه)[١٧]، وعن محمد بن مسلم[١٨] عن أبي جعفر عليه السلام في قول

الله عز وجل: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[١٩]، قال: من لم يدله خلق السموات والأرض واختلاف الليل ودوران الفلك والشمس والقمر والآيات العجيبات على أن وراء ذلك أمراً أعظم منه فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، قال: فهو عما لم يعاين أعمى وأضلّ)[٢٠].

كما أكد الإمام ﷺ بأن نتفكر في خلق الله وليس فيه، فالعبد في جمال ودقة صناعته لهو انعكاس لعظمة الخالق، فقد سمع أبو بصير[٢١] عن الإمام الباقر ﷺ أنه قال: (تكلموا في خلق الله، ولا تتكلموا في الله فإن الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحيراً، وفي رواية أخرى: تكلموا في كل شيء ولا تتكلموا في ذات الله)[٢٢].

ويرى الإمام الباقر ﷺ، بأن البحث والتمعن في دراسة الذات الإلهية، لا يزيدنا في ذلك إلا تحيراً، لأنه بحكم التأثير الحسي على فكر الإنسان سيؤدي إلى مقارنته عزوجل مع مخلوقاته، وهذا ما يفضي إلى الانحراف الفكري الخطير؛ لأنه ليس كمثله شيء[٢٣].

وعن عبد الرحمن بن عيتك القصير[٢٤]، قال: (سألت أبا جعفر ﷺ: عن شيء من الصفة فرفع يده إلى السماء، ثم قال: تعالى الجبار، تعالى الجبار، ما تعاطى ما ثم هلك)[٢٥]، وهنا إشارة من الإمام ﷺ بأنه لا يريد من المسلمين الخوض في مثل هذه المناظرات الكلامية.

ومن المسائل العقدية هي مسألة أزلية وقدم الله سبحانه وتعالى، وهي تلك العقيدة التي يؤمن بها معظم المسلمين، بل وعلى وجه الخصوص جمهور الشيعة الإمامية ومن البراهين التي يستدل على إثبات وجود خالق الكون، برهان الحدوث، وقد استدل به أمام الموحدين الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، على وجود الله سبحانه وأزليته في مواضع من كلماته وخطبه التوحيدية، منها قوله: (الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر، الدال على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده)[٢٦]. وعن محمد بن مسلم[٢٧]، عن أبي جعفر الباقر ﷺ أنه قال في صفة القديم: (أنه واحد صمدي أحدي المعنى ليس بمعاني كثيرة مختلفة، قال: قلت: جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الذي يبصر، ويبصر بغير الذي يَسمعُ، قال: فقالوا: كذبوا وألحدوا وشبهوا تعالى الله عن

ذلك، أنه سميع بصير يسمع ما يبصر، ويبصر بما يسمعُ، قال: قلت: يزعمون أنه بصير على ما يعقلونه، قال: فقال: تعالى الله إنما يعقل ما كان بصفة المخلوق وليس الله كذلك[٢٨].

ويبين لنا الإمام الباقر عليه السلام، بأن الله ليس كمثله شيء، فهو النقاء الإلهي الخالص، قائلاً في ذلك: أن الله خلو من خلقِه، وخلقهُ خلو منهُ، وكل ما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله، ووردت أيضاً في مكان آخر بعبارة (... ما خلا الله تعالى فهو مخلوق والله خالق كل شيء)[٢٩].

ولذلك فإن الإمام الباقر عليه السلام يذهب بالقول بأنه لا يمكن أن يقال لله بالشيء، لأنه ليس كمثل الأشياء الباقية المحسوسة في حياتنا اليومية، فعن محمد بن عيسى[٣٠]، قال: (سُئِلَ أبو جعفر عليه السلام: أيجوز أن يُقالَ: أن الله شيءٌ؟ قال: نعم يخرجه من الحدين: حد التعطيل وحد التشبيه)[٣١].

ويبين المجلسي ذلك بأن، حد التعطيل هو عدم إثبات الوجود أو الصفات الكمالية، والفعلية والإضافية له. وحد التشبيه: الحكم بالاشتراك مع الممكنات في حقيقة الصفات وعوارض الممكنات[٣٢].

وليس من الصحيح إطلاق القول بأنه شيء، لأنه خارج عن حيز الأشياء والمحسوسات، فعن أبي نجران[٣٣]، قال: (سألت أبا جعفر عليه السلام عن التوحيد، فقلت: أتوهُم شيئاً؟ فقال: نعم، غير معقول ولا محدود، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه، ولا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهامُ، كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يتصور في الأوهام؟ إنما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود)[٣٤].

وأن الأجسام المادية والحسية، فهي بحاجة إلى المكان الذي يميزها، يكسب هويتها، وقد اتفق العقلاء والحكماء باحتياج كل جسم إلى مكان، وأن هذا المكان لا يصح عليه الخلو[٣٥]، وعندما نطلع على أحاديث الإمام الباقر عليه السلام في الصفات الإلهية وتجريده من المكان والحيز المادي والزماني، فإننا نجد ذلك الإبداع والتألق في الوصف والاستنتاج، وليس ذلك بالغرابة فهو من بيت النبوة ومن بيت العلم والحكمة، فسأله رجل فقال له: أخبرني عن ربك متى

كان؟ فأجابه الإمام ﷺ: (ويلك، إنما يقال لشيء لم يكن، متى كان؟ أن ربي تبارك وتعالى كان ولم يزل حياً بلا كيف، ولم يكن له كان، ولا كان لكونه كون كيف، ولا كان له أين رأي ليس لله تعالى مكان يحويه) ولا كان في شيء[٣٦].

وهذا يعني بأن الله تعالى لا يحل في شيء، ولا كان على شيء، فليس لله تعالى جهة عليا تحيطه، ولا ابتدع لمكانه مكاناً، أي أن الله موجود في كل مكان وزمان، وأنه لا يتصف بالضعف والعجز مثل مخلوقاته ثم قوي بعد ذلك، ولا كان ضعيفاً مثل أن يكون شيئاً.

ويحدثنا الإمام صلوات الله وسلامه عليه بقدرة الله تعالى على معرفته وإحاطته بجميع الأمور، فهو ليس بغافل عن شيء، فعن فضيل بن سُكرة[٣٧]، قال: قلت لأبي جعفر ﷺ: جعلت فداك أن رأيت أن تعلمني هل كان الله جل وجهه يعلم قبل أن يَخلق الخلقَ أنه وحده؟ فقد اختلف مواليك، فقال بعضهم: قد كان يعلم قبل أن يخلق شيئاً من خلقه، وقال بعضهم: إنما معنى يعلم يفعل، فهو اليوم يعلم أنه لا غيره قبل فعل الأشياء فقالوا: (إن أثبتنا أنه لم يزل عالماً بأنه لا غيره فقد أثبتنا معه غيره في أزليته؟ فأن رأيت يا سيدي أن تُعلمني مالا أعدوه إلى غيره؟ فكتب ﷺ: ما زال الله عالماً تبارك وتعالى ذكره)[٣٨].

والأمر نفسه يذكره محمد بن مسلم، عن الإمام الباقر ﷺ، قال: (سمعته يقول كان الله عزوجل ولا شيء غيره ولم يزل عالماً بما يكون، فعلمه به قبل كونه، كعلمه به بعد كونه)[٣٩].

ويحدثنا الإمام ﷺ بأننا علينا أن نعبد الله بأسمائه، وليس عبادة الاسم دون المسمى، فعن عبد الرحمن بن أبي نجران[٤٠]، قال: كتبت إلى أبي جعفر ﷺ إذ قلت له: جعلني الله فداك، نعبد الرحمن الرحيم الواحِدَ الأحدَ الصمَد؟ فقال: إنَّ من عبد الأسم دون المسمى بالأسماء أشرك وكفر وجحد ولم يَعْبُد شيئاً، بل أعبد الله الواحد الأحد الصَمد المُسمى بهذه الأسماء دون الأسماء، إن الأسماء صفات وصف بها نفسه)[٤١]، ويعلق العلامة الفيض الكاشاني على ذلك بالقول: يعني لابد أن تنسب عبادتك أولاً إلى الله ثم تصفه بالصفات التي دلت عليها هذه الأسماء لأن الله هو اسم الذات المسمى بهذه الأسماء وهذه أسماء صفات له[٤٢].

وإن هذا الأمر عند الإمام ليتطلب من المؤمن المسلم أن يبحث عن الحقيقة الإلهية، وأن

يلتمس بالسنن والتعليمات الإلهية، وذلك قال: (من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً، فإن مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً)[٤٣].

وعند المسلمين فإن عبارة شهادة أن لا إله إلا الله، لها عمقها التوحيدي، ونقاؤها الروحي، وفي هذا الصدد فإن الإمام الباقر عليه السلام يقول: (ما من شيء أعظم ثواباً من شهادة لا إله إلا الله؛ لأن الله عزوجل لا يعدلهُ شيء ولا يشركه في الأمر أحد)، ويتضح من ذلك ثواب الشهادة بوحدانيته والإقرار بوجوده، لا يشبهه ثواب عمل من الأعمال ولا يعدله جزاء علم من العلوم، إذ شرف العلم والابتهاج به، إنما هو باعتبار شرف معلومه، وأيضاً لما كان الله عزوجل لا يشركه شيء في أمر من الأمور ومن جملة الأمور المتعلقة به ثواب الشهادة به، فلا يشرك ثوابها ثواب شيء من الأشياء[٤٤].

ويحدثنا الإمام (صلوات الله عليه) بكلمات عميقة ومؤثرة يتضح فيها عمق العشق والذوبان في الحب الإلهي، فقد كتب إلى رجل بخط يده وقراءته في دعاء كتب به أن يقول: (يا ذا الذي كان قبل كل شيء ثم خلق كل شيء ثم يبقى ويفنى كل شيء، ويا ذا الذي ليس في السماوات العُلى، ولا في الأرضين السفلى ولا فوقهن ولا بينهن ولا تحتهن إله يعبد غيره)، ويعلق العالم الرباني القمي على ذلك بالقول: إن عدم معبودية غيره في السماوات وفوقها، وفي الأرض وتحتها وفيما بينهما، إنما هو بالحقيقة، لأن كل ما يعبد سواه فإنما يعبد لزعم خير فيه من إيصال إلى محبوب أو دفع مكروه أو من حيث هو خير فقط. ولا ريب أن كل خير فهو من الله في أي شيء كان. وهو الضار والنافع ولا حول ولا قوة إلا به فذلك العابد ما سوى الله[٤٥].

ويتحدث الإمام عليه السلام عن تفسير الهوى والضلالة والتوفيق والخذلان من الله تعالى، فعن جابر بن يزيد الجعفي[٤٦]، عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام، قال سألته عن معنى (لا حول ولا قوة إلا بالله) فقال: معناه لا حول لنا عن معصية الله إلا بعون الله، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بتوفيق الله عزوجل[٤٧].

ومن سور القرآن العظيمة هي سورة الإخلاص، وسميت سورة التوحيد، لأنه ليس فيها إلا التوحيد، وكلمة التوحيد تسمى: كلمة الإخلاص. وقيل إنما سميت بذلك، لأن من تمسك

بما فيها اعتقاداً وإقراراً، كان مؤمناً مخلصاً.. ومن قرأها فكأنما قرأ ثلث القرآن[٤٨]، وفي أهمية وجمال هذه السورة القرآنية، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه الإمام محمد الباقر عليه السلام، في قول الله تبارك وتعالى: (قل هو الله أحد)، قال: (قل) أي أظهر ما أوحينا إليك. ونبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها لك ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد، وهو اسم مكنى مشار إلى غائب، فالهاء تنبيه على معنى ثابت، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس، كما أن قولك (هذا) إشارة إلى الشاهد عند الحواس، وذلك أن الكفار نبهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك، فقالوا: هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار، فأشر أنت يا محمد إلى إلهك الذي تدعو إليه حتى نراه وندركه، فأنزل الله تبارك وتعالى قل هو الله أحد، فالهاء تثبت للثابت والواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواس وأنه تعالى عن ذلك بل هو مدرك الأبصار ومبدع الحواس[٤٩].

ولذلك فإن الإمام الباقر عليه السلام، كان يعمل على حث القاعدة الجماهيرية الإسلامية من أجل عبادة الله الأحد الصمد الذي تراه العقول ولا تراه العيون، فعن عبد الله بن سنان[٥٠]، عن أبيه قال: (حضرت أبا جعفر الباقر عليه السلام، فدخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر أي شيء تعبد؟ قال: الله تعالى، قال: رأيته؟ قال: بل لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس، ولا يشبه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلاقات، لا يجور في حكمه، ذلك الله لا إله إلا هو: قال: فخرج الرجل وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته)[٥١].

وهنا تكمن أهمية مكاشفة القلوب للوصول إلى الحب والعشق الإلهي، فعن داود بن القاسم أبي هاشم الجعفري[٥٢]، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ**﴾[٥٣]، فقال: أبا هاشم أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك، وأوهام القلوب لا تدركه فكيف أبصار العيون[٥٤].

ثانياً: الزمان والمكان عند الإمام الباقر عليه السلام:

أن جميع الأحاديث التي وصلت إلينا من أهل البيت عليهم السلام، تؤكد بأن الباري عزوجل لا يحده زمان ولا مكان، فعن أبي بصير قال: جاء رجل إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام، فقال له: (أخبرني عن ربك متى كان؟ فقال: ويلك إنما يقال لشيء لم يكن: متى كان، إن ربي تبارك وتعالى كان ولم يزل حياً بلا كيفٍ، ولم يكن له كان، ولا كان لكونه كون، ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا ابتدع لمكانه مكاناً، ولا قوي بعد ما كوّن الأشياء، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكوِّن شيئاً، ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً، ولا يشبه شيئاً مذكوراً.. ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه، ولم يزل حياً بلا حياةً)[٥٥].

هذه السطور القلائل اختصرت مباحث التوحيد بصورة كاملة، واعتقد بأن الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام الإسلامي لهما يدينان إلى فكر آل البيت عليهم السلام، باعتبار أن مباحث علم الكلام كانت جاهزة وكاملة من بواكير ظهور الدعوة الإسلامية، والدليل على ذلك تلك السطور الرائعة للإمام الباقر عليه السلام.

وفي هذا الصدد أيضاً، سأل أحدهم الإمام الباقر عليه السلام، قائلاً له: (أخبرني عن الله متى كان؟، فقال: (متى لم يكن حتى أخبرك متى كان؟، سبحان لم يزل ولا يزال فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً) ويعلق العلامة الفيض الكاشاني على ذلك بالقول: (نبه هذا التسبيح على أن (متى) من صفات المخلوقين، وأن (متى كان) يستلزم (متى لم يكن) كما مضى تحقيقه[٥٦].

وفي خصوص موضوع المكان والخير فيه، فقد سأل أحدهم الإمام الباقر عليه السلام: (أكان الله ولا شيء؟) قال: نعم كان ولا شيء، فقال للإمام عليه السلام: فأين كان يكون، فكان الإمام متكئاً فاستوى جالساً، وقال (سألت عن المكان إذ لا مكان)[٥٧].

ثالثاً: التدبير الإلهي عند الإمام الباقر عليه السلام:

عند تمعننا في أسرار هذا الكون وتنظيمه المبدع والجميل، تتجلى لنا القدرة الإلهية وتدبرها في كل مناحي الكون والحياة، ولذلك قال الإمام الباقر عليه السلام: (كفى لأولى الألباب بخلقِ الرب المسخر، وفلكِ الرب القاهر، وجلالِ الرب الظاهر، ونور الرب الباهر وبرهان الرب الصادق،

وما أنطق به السنة العباد، وما أرسل به الرسل، وما أنزل على العباد دليلاً على الرب)[٥٨].

ومن آيات الله، أن جعل الروح الإنسانية هي نفخة من الروح الإلهية، ولكن هنالك التمييز بين الحالتين، فعن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر ﷺ عما يروون أن الله خلق آدم على صورته، فقال هي صورة محدثة، مخلوقة، وأصطفاها الله واختارها على سائر الصور المختلفة، فأضافها إلى نفسه، كما أضاف الكعبة إلى نفسه، والروح إلى نفسه، فقال (بيتي)، و(نفخت فيه من روحي)[٥٩].

ويتضح لنا بأن العقل الإنساني غير قادر على إيجاد حلول وإجابات حول بعض الظواهر الحياتية اليومية، ولكن لله حكمته وصوابه في ذلك وفي أفعاله، وهذا ما يبينه لنا الإمام الباقر ﷺ، فعن جابر بن يزيد الجُعفي، قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر ﷺ: يا أبن رسول الله أنا نرى من الأطفال من يولد ميتاً، ومنهم من يسقط غير تام، ومنهم من يولد أعمى أو أخرس أو أصم، ومنهم من يموت من ساعته إذا سقط على الأرض، ومنهم من يبقى إلى الاحتلام، ومنهم من يعمر حتى يصير شيخاً، فكيف ذلك، وما وجهه؟ فقال ﷺ: إن الله تبارك وتعالى أولى بما يدبره من أمر خلقه منهم، وهو الخالق والمالك لهم، فمن منعه التعمير فإنما منعه ما ليس له، ومن عمّره فإنما أعطاه ما ليس له، فهو المتفضل بما أعطاه وعادل فيما منع، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، قال جابر: فقلت له: يا ابن رسول الله، وكيف لا يسأل عما يفعل؟ قال: لأنه لا يفعل إلا ما كان حكمةً وصواباً، وهو المتكبر الجبار والواحد القهار فمن وجد في نفسه حرجاً في شيء مما قضى الله فقد كفر، ومن أنكر شيئاً من أفعاله جحد)[٦٠].

وفي خصوص الأفعال الإلهية وبيان صفاتها، فإن الإمام الباقر ﷺ يبين ذلك بطريقة إسلامية تربوية وعميقة المعنى والدلالة، فعن المشرقي حمزة بن المرتفع[٦١]، وعن بعض أصحابه قال: كنت في مجلس أبي جعفر ﷺ، إذ دخل عليه عمرو بن عبيد[٦٢]، فقال له: جُعلتُ فداك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ**﴾[٦٣]، ما معنى ذلك الغضب؟ فقال أبو جعفر ﷺ: هو العقاب يا عمرو، إنه من زعم أن الله قد زال من شيء إلى شيء فقد وصفه صفة مخلوق وأن الله تعالى لا يستفزه شيء فيغيره)[٦٤].

والمعروف عند المسلمين والمتكلمين إن الله هو خير محض، وإن الشر هو جانب عرضي من

الخير، والله سبحانه وتعالى لا يصدر الشر منه، ولذلك فإن الإمام الباقر عليه السلام يوضح هذه المسألة العقدية المهمة، فعن محمد بن مسلم، قال سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: (إن في بعض ما أنزل الله من كتبه أنّي أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخير وخلقت الشر فطوبى لمن أجريتُ على يديه الخير وويل لمن أجريت على يديه الشر وويل لمن يقول: كيف ذا وكيف ذا)[٦٥].

ويعلق العلامة المازندراني على هذا الحديث قائلاً: (لا منافاة أما أولاً فلأن إرادة الشر بالعرض من حيث أنها تابعة لإرادة الخير وذلك لأنه إذا أراد الخير بدون حتم بمعنى أنه أراد صدوره عنهم بإختيارهم ولم يجبرهم عليه فقد أراد الشر بالعرض فإرادته تابعة لإرادة الخير، بالمعنى المذكور والحق الثابت أنه لا يريد الشر لعلمه بصدوره عنهم على اختيارهم)[٦٦].

ومما يتسم به آل البيت عليهم السلام، بأنهم غير راغبين في هذه الدنيا، وعرفوا بزهدهم وتقواهم والخشية من الله وطلب رحمته ومغفرته، ولذلك خرج الإمام الباقر يوماً، وهو يتحدث مع جابر ويقول له: (أصبحت والله يا جابر محزوناً مشغول القلب، فقلت: جعلت فداك ما حزنك وشغل قلبك، كل هذا على الدنيا؟ فقال عليه السلام لا يا جابر، ولكن حزن هم الآخرة، يا جابر من دخل قلبه خالص حقيقة الإيمان شغل عما في الدنيا من زينتها، إن زينة زهرة الدنيا إنما هو لعب ولهو، وإن الدار الآخرة لهي الحيوان، يا جابر: أن المؤمن لا ينبغي له أن يركن ويطمئن إلى زهرة الدنيا. وأعلم أن أبناء الدنيا هم أهل غفلة وغرور وجهالة، وأن أبناء الآخرة هم المؤمنون العاملون الزاهدون أهل العلم والفقه وأهل فكرة واعتبار لا يملون من ذكر الله. وأعلم يا جابر أن أهل التقوى هم الأغنياء، أغناهم القليل من الدنيا فمؤونتهم يسيرة، إن نسيت الخير ذكروك وأن عملت به أعانوك، أخروا شهواتهم ولذاتهم خلفهم، وقدموا طاعة ربهم أمامهم، ونظروا إلى سبيل الخير[٦٧].

نتائج البحث:

يمكن لنا أن نستنتج في خاتمة البحث ما يأتي:

١-يتبين لنا من خلال هذا البحث بأن مباحث التوحيد والإلهيات، قد اهتم بها آل البيت الأطهار ﷺ، لأنهم آل بيت النبوة الذين استمدوا مبادئ التوحيد من خلال العناية والرعاية الإلهية.

٢-ويتضح لنا بأن الإمام محمد الباقر ﷺ، قد أدى دوراً رسالياً وتاريخياً في توعية المسلمين على مبادئ التوحيد ومحاربة الأفكار المظللة والفاسدة.

٣-كما أننا وجدنا بأن الإمام محمد الباقر ﷺ، قد قدم إلينا مباحثه التوحيدية وفق منهجية سليمة وآراء سديدة في عملية الصفاء والنقاء للصفات والذات الإلهية، بصورة مبسطة وعفوية، وأن كلماته التوحيدية لقادرة على اختراق القواعد الجماهيرية الإسلامية والتأثير فيهم لصدق معانيها.

٤-ويتضح لنا ومن خلال قراءة متمعنة لأحاديث التوحيد عند الإمام محمد الباقر ﷺ، بأن هذه الأحاديث هي النواة الأولى لعلم الكلام الإسلامي، وقد سبقت ذلك المدونات الكلامية في التوحيد والتي ظهرت أيام الدولة العباسية، واعتقد بأن معظم المتكلمين في التوحيد هم عيال على مدرسة آل البيت التوحيدية.

٥-وكما وجدنا بأن الإمام محمد الباقر ﷺ، له القدرة المتميزة على الإجابات الفورية في إشكاليات التوحيد، وذلك لما يحمله من أرث حضاري وفكري وعقدي وتوحيدي.

٦-ونعتقد بأن موضوع التوحيد عند آل البيت ﷺ يحتاج إلى المزيد من البحث والتدقيق لاستخراج اللالئ المضيئة في أعماق البحار.

الهوامش

١- المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١/ ١٦٩٩م)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة، ج٤٦، ص٢١٢.

٢- عبد الله عطاء، روى عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، وله كتاب. ينظر: الخوئي، السيد أبو القاسم، معجم رجال الحديث وتفضيل طبقات الرواة، مؤسسة الإمام الخوئي العامة، ج١١، ص٢٧٤.

٣- الأصفهاني، أبو نعيم (ت٤٣٠هـ/ ١٠٣٩م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٣، ص١٨٦.

٤- ابن أبي الحديد المعتزلي، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد (ت٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨،ج١٥، ص١٦٤.

٥- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرفسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٤، ص(٤٠١-٤٠٢).

٦- الصفدي، صلاح الدين أيبك (ت٧٦٤/ ١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي فيصل، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٤، ص٧٧.

٧- ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ج٩، ص٣٠٩.

٨- الهيثمي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ابن حجر (ت٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م)، الصواعق المحرقة، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي، كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧، ج٢، ص٥٨٦.

٩- ينظر: السبحاني، جعفر، محاضرات في الإلهيات، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٦، ص٤٣.

١٠- مطهري، مرتضى، العرفان والدين والفلسفة، دار الإرشاد، بيروت، ٢٠٠٩، ص٣٢٧.

١١- بريد العجلي: من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق ومن فقهاء الشيعة في القرن الثاني، وهو بُريد بن معاوية بن أبي حكيم واسمه حاتم، يكنى أبا القاسم، وعد بأنه من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام. ينظر: الطوسي، الشيخ الحسن بن محمد (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، رجال الطوسي، تحقيق: جواد الفيومي الأصفهاني، ط٥، دار النشر الإسلامية، ٢٠٠٨، ص١٢٨.

١٢- الكليني، محمد بن يعقوب(ت٣٢٩هـ/ ٩٤٠م)، أصول الكافي، ط١، منشورات الفجر، بيروت، ٢٠٠٧، ج١، ص٨٤.

١٣- هو الأسود بن سعيد الهمداني الكوفي (ت١١٠هـ) وهو محدث وله حديث في الملاحم، الذهبي/ سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٦.

١٤- الكليني، أصول الكافي، ج١، ص٨٤.

١٥- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/ ٩٩٢م)، التوحيد، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطرواني، ط١٠، مؤسسة النشر الإسلامي، ٢٠٠٨، ص٤٤٣.

١٦- م.ن، ص٤٤٤.

١٧- م.ن، ص٤٤١.

١٨- هو فقيه ومحدث من أصحاب الإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الكاظم ﷺ، وهو من أصحاب الإجماع توفي سنة (١٥٠هـ) وكان له من العمر سبعون سنة. ينظر: سبحاني، جعفر، تذكرة الأعيان، مؤسسة الإمام الصادق ﷺ، ص٣٢.

١٩- سورة الإسراء، الآية: (٧٢).

٢٠- الصدوق، التوحيد، ص٤٤٢.

٢١- أبو بصير: كنيته مشتركة لبعض الرواة وأصحاب الإمامين الباقر والصادق ﷺ، وهم يحيى بن أبي القاسم الأسدي، ليث بن البحتري المرادي، عبد الله بن محمد الأسدي الكوفي، ويوسف بن حارث وأبو بصير الثقفي، وقد ورد اسم أبي بصير من دون قيد في سند الكثير من الروايات، حيث لا يتسنى تحديد هوية الراوي إلا من خلال القرائن الخارجية، والكثير من علماء الرجال يعتبر كلا الرجلين: أبو بصير الأسدي وأبو بصير المرادي ثقتين وموضع اعتماد. ينظر: السيد الخوئي، أبو القاسم، معجم الحديث، ج١٥، ص١٤٤.

٢٢- الكليني، الأصول، ج١، ص٥٤.

٢٣- الصدوق، التوحيد، ص٤٤١.

٢٤- هو عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك، من أهل المدينة، وهو ثقة. ينظر: المزي، يوسف بن الزكي (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)، تهذيب الكمال، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠، ج١٥، ص١٧١.

٢٥- الكليني، الأصول، ج١، ص٥٦.

٢٦- ينظر: السبحاني، جعفر، محاضرات في الإلهيات، تلخيص الشيخ علي الرباني الكلبايكاني، مؤسسة النشر الإسلامي، ص٣٩.

٢٧- تم ترجمته سابقاً.

٢٨- الكليني، الأصول، ج١، ص٦٣.

٢٩- م.ن، ص(٤٨-٤٩).

٣٠- محمد بن عيسى: هو محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين، ثقة، عين كثير الرواية، حسن التصانيف. ينظر: السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١٨، ص١١٩.

٣١- الكليني، الأصول، ج١، ص٥٠.

٣٢- المجلسي، محمد باقر بن محمد بن تقي (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، مرآة العقول، دار الكتب الإسلامية، ج١، ص٢٨٢.

٣٣- أبي نجران: روى عن عاصم بن حميد، وروى عنه إبراهيم بن هاشم، وقع بهذا العنوان في إسناد كثير من الروايات، تبلغ ثلاثمائة وتسعة وعشرين مورداً، وقد روى عن أبي جعفر ﷺ وأبي جعفر الثاني ﷺ. ينظر: السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٢٣، ص١٥٢.

٣٤- الكليني، الأصول، ج١، ص٤٨.

٣٥- الطوسي، محمد بن الحسن (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، شرح جمال الدين بن يوسف أبي علي بن المطهر المشتهر بالعلامة الحلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بدون سنة، ص١٣٣.

٣٦- الكليني، الأصول، ج١، ص(٨٨-٨٩).

٣٧- الفضيل بن سكرة، كوفي من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام. ينظر: الطوسي، رجال الطوسي، ص٢٧٠.

٣٨- الكليني، الأصول، ج١، ص٦٣.

٣٩- م.ن، ص٦٢.

٤٠- وهو عمرو بن مسلم التميمي، مولى، كوفي، أبو الفضل، وكان ثقة/ السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٢٣، ص١٥٣.

٤١- الكليني، الأصول، ج١، ص٥١.

٤٢- الفيض الكاشاني، محمد محسن (ت١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م)، كتاب الوافي، منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين، أصفهان، ج١، ص٣٤٨.

٤٣- ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي بن الحسين (ت٣٨١هـ/ ٩٩١م)، تحف العقول عن آل الرسول، تقديم وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، ط٧، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ٢٠٠٢، ص٢١١.

٤٤- القمي، سعيد بن محمد بن محمد (ت١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م)، شرح توحيد الصدوق، تصحيح: د. نجفقلي حسبي، ج١، ص٢٥.

٤٥- م.ن، ج١، ص(٢٤٧-٢٤٨).

٤٦- هو جابر بن يزيد الجعفي، محدث تابعي، مفسر، ومؤرخ من أصحاب الإمام الباقر الإمام الصادق عليهما السلام، توفي سنة (١٢٨هـ). ينظر: العسقلاني، ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م)، تهذيب التهذيب، تحقيق: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٧، ص٢٠١.

٤٧- الصدوق، التوحيد، ص٢٣٧.

٤٨- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، مجمع البيان في تفسير القرآن، ط١، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٦، ج١٠، ص٣٦٨.

٤٩- الصدوق، التوحيد، ص٨٦.

٥٠- عبد الله بن سنان بن طريف مولى بني هاشم، يقال مولى بني أبي طالب، ويقال مولى بني العباس، وهو ثقة وله كتاب رواه جماعة. ينظر: السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج١١، ص٢٢٤.

٥١- الكليني، الأصول، ج١، ص٥٧.

٥٢- داود بن القاسم الجعفري، يكنى أبا هاشم، ثقة جليل القدر. ينظر: السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٨، ص١٢٣.

٥٣- سورة الأنعام، الآية(١٠٣).

٥٤- الكليني، الأصول، ج١، ص٥٨.
٥٥- م.ن، ج١، ص٥٢.
٥٦- الفيض الكاشاني، الوافي، ج١، ص٣٤٩.
٥٧- الكليني، الأصول، ج١، ص٥٣.
٥٨- م.ن، ص٤٨.
٥٩- م.ن، ص٧٨.
٦٠- الصدوق، التوحيد، ص٣٨٦.
٦١- هو حمزة بن المرتفع المشرقي، وروى عن محمد بن يعقوب. ينظر: السيد الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٧، ص٢٩٦.
٦٢- عمرو بن عبيد: كبير المعتزلة، مات بطريق مكة سنة ثلاث وقيل: سنة أربع وأربعين ومائة، وله كتاب (العدل) و(الرد على القدرية). ينظر: الذهبي، شمس الدين (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م)، سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٢٥٩.
٦٣- سورة طه، الآية: ٨١.
٦٤- الكليني، الأصول، ج١، ص٦٤.
٦٥- م.ن، ج٨٩.
٦٦- المازندراني، محمد صالح (ت١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م)، (شرح أصول الكافي)، تحقيق: علي عاشور، ط٢، مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٨، ج٤، ص٢٩٤.
٦٧- الحراني، تحف العقول، ص٢٠٥.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

*** أولاً. المصادر الأصيلة:**

* الأصفهاني، أبو نعي (٤٣هـ/ ١٠٣٩م):
* حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت.
* ابن أبي الحديد المعتزلي، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد (ت٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م):
* شرح نج البلاغة، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، ط١، دار المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٩٨.
* الحراني، الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين (من أعلام القرن الرابع الهجري):
* تحف العقول عن آل الرسول، تعليق: الشيخ حسين الأعلمي، ط٧، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢.
* الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):
* سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت.
* الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ/ ٩٩٢م)/
* التوحيد، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، ط١٠، مؤسسة النشر الإسلامي.
* الصفدي، صلاح الدين إيبك (ت٧٦٤ هـ/ ١٣٦٢م):
* الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي فيصل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
* الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨ هـ/ ١١٥٣م):
* مجمع البيان في تفسير القرآن، ط١، دار المرتضى، بيروت، ٢٠٠٦.
* الطوسي، الشيخ الحسن بن محمد (ت٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧م):
* رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، ط٥، دار النشر الإسلامية.
* الطوسي، محمد بن الحسن (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م):
* كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، شرح جمال الدين بن يوسف ابن علي بن المطهر المشتهر بالعلامة الحلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، بدون سنة.
* العسقلاني، ابن حجر شهاب الدين أبو الفضل أحمد (ت٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م):
* تهذيب التهذيب، تحقيق: إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.
* الفيض الكاشاني، محمد محسن (ت ١٠٩١ هـ/ ١٦٨٠م):
* كتاب الوافي، منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين، أصفهان.
* القمي، سعيد بن محمد بن محمد (ت١١٠٧ هـ/ ١٦٩٥م):
* شرح توحيد الصدوق، تصحيح: د. غفقلي حسبي، طهران.
* ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):
* البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت.
* الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ/ ٩٤٠م):
* أصول الكافي، ط١، منشورات الفجر، بيروت، ٢٠٠٧.
* المازندراني، محمد صالح (ت١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م):
* شرح أصول الكافي، تحقيق: علي عاشور، ط٢، مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٨.
* المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م):

* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون سنة.
* مرآة العقول، دار الكتب الإسلامية.
* المزي، يوسف بن الزكي (ت٧٤٢هـ/ ١٣٤١م):
* تهذيب الكمال، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠.
* الهيثمي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ابن حجر (ت٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م):
* الصواعق المحرقة، تحقيق: عبد الرحمن عبد الله التركي، كامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٧.

ثانياً: المراجع العربية:

* السبحاني، جعفر:
* تذكرة الأعيان، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.
* محاضرات في الإلهيات، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة، بيروت، ٢٠١٦.
* السيد الخوئي، أبو القاسم:
* معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، مؤسسة الإمام الخوئي العامة.
* مطهري، الشيخ مرتضى:
* العرفان والدين والفلسفة، دار الإرشاد، بيروت، ٢٠٠٩.

الخطاب الإشهاري عند الإمام محمد الباقر عليه السلام

(قراءة في ضوء تفاعل الأنساق اللسانية والأيقونية)

أ.د. كريمة نوماس محمد المدني

جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية

المقدمة

مدخل

أولا : مصطلح الخطاب (المفهوم والإجراء)

يعد مصطلح الخطاب مصطلحا واسعا وقد مر بمراحل متعددة بين الحقول المعرفية المتنوعة ، انطلاقا من جذره اللغوي في مراجعة الكلام ومخاطبته ، والخطب هي الأمر والشأن[١] والجدير بالذكر أن لفظة الخطاب وردت في القران الكريم في قوله تعالى :﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[٢] وفصل الخطاب كما وضح بعض المفسرين هو الحكم بالبينة والبين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه .[٣] وقد برز دور البلاغيين العرب في تفسير قوله تعالى : ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾[٤] إذ فسرها أبو هلال العسكري بأن معناها غلبني في الخطاب إن تكلم كان أفصح مني .[٥] وكذلك رأي ابن الأثير قال : (فلا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة ، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب فيها)[٦]. ويبدو أن الكلام البليغ عند البلاغيين يعني الخطاب والإفهام الذي يحقق غاية التواصل بين المتكلم والمخاطب .

الخطاب اصطلاحا: لعل من أبرز التعريفات التي وردت للخطاب بتنوع الاتجاهات التي انطلقت في تعريفه هو ماجاء به هاريس إذ يرى ان (الخطاب هو الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل).[٧] ويرى فان دايك أن الخطاب هو الاستعمال الحقيقي للغة من قبل متكلمين حقيقيين في وضعيات حقيقية .[٨]

ولعل من ابرز التعريفات لمفهوم الخطاب هو ماجاء به مشيل فوكو الذي يرى أن الخطاب هو (شبكة معقدة من النظم الاجتماعية و السياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي تنتج الكلام فهو إنجاز الزمان والمكان لقيامه شروطا أهمها المخاطب والمخاطب .[٩]

ولعل ابرز النقاد الغربيين من توسع في مفهوم الخطاب هو رومان جاكوبسون الذي يرى أن عملية التخاطب ترتكز على عناصر عدة وهي ستة عناصر مهمة لتحقيق عملية التواصل إذ وضع جاكوبسون وظائف لكل عنصر مهما وتتمثل بما يأتي:

المرسل (المخاطب بالكسر) أو منتج الخطاب وينتج الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية ، ولابد للمرسل ان تكون له قدرتان المستقبلة والمنسقة للقيام بعملية الترميز وتفكيكها بالرجوع إلى النظام اللغوي الذي يشترك فيه طرفا الخطاب وان يكون المرسل على قدرة كافية بتوجيه الخطاب .[١٠]

المرسل إليه (المخاطب بالفتح) أو متلق الخطاب وينتج الوظيفة الافهامية أو الانتباهية .إذ يقوم بتفكيك الرسالة اللغوية باعتماد الإشارات المخزونة في ذاكرته مستعينا بثقافته وأحواله الخاصة التي ينفرد بها وان كانت مشتركة بين أفراد مجتمعه .[١١]

الرسالة وهي نص الخطاب وتنتج الوظيفة الإنشائية أو الأدبية أو الشعرية ، وتعد ثمرة عملية التواصل الذي يروم المرسل إيصاله للمتلقي ويتضمن هذا المحتوى المعلومات والأفكار والفرضيات الموجودة في ذهن المرسل ، وتختلف الرسالة بحسب طبيعة المعلومات التي تحملها فتكون دينية وسياسية واجتماعية ، وبذلك تشكل الرسالة كتلة بنيوية واحدة متماسكة الأجزاء.[١٢]

المرجع أو السياق وينتج الوظيفة المرجعية والوظيفة المعجمية تفك الشفرة بين المرسل والمرسل إليه، والسياق والوظيفة الميتا لغوية[١٣].ولا تفهم الرسالة اللغوية إلا من خلال الإحالة على الملابسات التي أنجزت فيها قصد إدراك القيمة الإخبارية للخطاب ولهذا عد المرجع العامل المهم والأساس في الرسالة. [١٤]

أما العنصر الآخر الخامس هو (السنن) وهو نسق القاعدة المشتركة بين المرسل والمرسل إليه الذي بدونه لايمكن للرسالة أن تفهم أو تؤول .ويعد لغة مشتركة ينطقها الطرفين .فكل لغة تشمل العديد من الأنساق المتزامنة الذي يتميز كل نسق منها بوظيفة مختلفة .[١٥]

أما العنصر السادس والأخير هو (القناة) وهي وسيلة التواصل بين الأشخاص وتنقل عبرها الرسالة من المرسل إلى المرسل إليه مما يسمح بقيام التواصل بينهما .[١٦]

ثانيا : الإشهار (المفهوم والاشتغال)

الإشهار (لغة) من الشهرة وهي وضوح الأمر ، يقال شهرت الأمر ، أشهره شهرا وشهرة، ومنها ولفلان فضيلة اشتهرها الناس .[١٧]

والإشـهار مـن الشـهرة والتشـهير وإظهـار الأمـر والإعـلان عنـه والمعنـى الآخـر هـو الدعايـة والترويـج إيجابـا أو سـلبا حسـنا أوقبحـا . (١٨)

وقـد تنقـل المصطلـح بـين حقـول معرفيـة متعـددة بعـد ان كان مقتصرا مفهومـه وأدوات اشـتغاله في حقـل الدعايـة والإعـلان التجـاري والترويـج للبضائـع والأشـخاص . وقـد عـرف بأنـه (صـورة مصنعـة ومكثفـة تتفاعـل فيهـا عـدة عوامـل وتتآلـف وتتبـادل الأخـذ والعطـاء لإحـداث خطـاب أو إنتـاج معرفـة أو مـادة يسـتحضر مـن خلالهـا تفاعـل القـارئ أو المتلقـي مـع المـادة الإشـهارية أو المحتـوى الـذي يعـبر عنـه الخطـاب الإشـهاري).(١٩)

وقـد عرفـه داسـتو بأنـه : (العلامـة أو مجموعـة العلامـات ذات البنيـة الإيحائيـة التـي تحمـل قيـما معرفيـة حـول حاجـة مـا أوفكـرة مـا).(٢٠)

ويمكـن القـول إن الإشـهار فعـل إنسـاني موجـود منـذ القـدم وفي تراثنـا العـربي يزخـر بشـتى صنـوف الأدب والمعـارف الإنسـانية نجـد فيهـا مـن النصـوص الادبيـة والحكايـات مـا وجـدت الإشـهاريات فيهـا منـذ عـصر الجاهليـة وحتـى الآن ولعـل اكـبر دليـل عـلى ذلـك هـو اسـواق عـكاظ التـي كانـت مخصصـة للشـعر والفخـر والتمايـز بـين الشـعراء المجيديـن ، وقـد كانـت مؤلفـات النقـد والأدب تجـول بأجـواء الإشـهار حـول أروع الشـعراء وأفضلهـم وأجودهـم شـعرا فيقولـون (فـلان أشـعر النـاس ، وأشـعر الشـعراء وأشـعر أهـل زمانـه).(٢١)

واحتـل الخطـاب الإشـهاري مكانـا واسـعا في الدراسـات الأدبيـة واللسـانية والسـيميائية، فالسـيميائية تهتـم بدراسـة النظـم اللغويـة ولذلـك تسـعى السـيميولوجيا إلى الاهتـمام بالعلامـة اللغويـة وغـير اللغويـة ، فـكان ذلـك عهـدا جديـدا لدراسـة التواصـل الانسـاني في شـتى اشـكاله وتمظهراتـه.(٢٢)

مكونات الخطاب الإشهاري

يرتكزالخطاب الإشهاري على مكونين رئيسين هما

أولا : المكـون اللسـاني ويتجـلى هـذا المكـون في البنيـة اللغويـة للخطـاب الإشـهاري الـذي يتكـون مـن مسـتويات متعـددة وهـي (المسـتوى النحـوي والـدلالي والتركيبـي ووظيفتـه) يسـعى إلى معرفـة

المتلقي أو المرسل إليه بالمعنى المقصود من إرسال رسالته أي معرفة مضمون الرسالة الإشهارية.

ثانيا : المكون الايقوني وتتم دراسة النص الإشهاري عبر ثلاثة ابعاد هي

_البعد التركيبي ويهتم بدراسة البنية الداخلية للوجه الدال للعلامة ومعرفة المدلول .

_ البعد الدلالي ينظر فيه إلى العلامة في هذا لمجال وعلاقتها بما تدل عليه

_البعد التداولي : ويشمل الأفعال التداولية والاشاريات والأساليب الحجاجية .[٢٣]

والمكون الايقوني إذن هو عبارة عن مجموعة من التقانات التي يعمد المرسل إلى توظيفها مثل اللون والشكل والصورة والحركة المشهدية والإشارة .[٢٤]

ويمكن القول ان المدونة الكاملة لأقوال ومخاطبات أهل البيت الأئمة الأطهار ﷺ تمثل خطابات اشهارية توضح كل ماحدث من مغالطات كبيرة في التشويه والتحريف للرسالة السماوية التي بلغها الرسول الأعظم ﷺ .بأساليب ووسائل متنوعة لغوية وغيرلغوية .

وإن شاء الله في بحثنا هذا سنهتم بدراسة طبيعة وأسلوب الخطاب عند الإمام محمد الباقر ﷺ بما فيه من صيغ وأفكار تشهر بالمنافقين والاشرار الذين يضلون انتمائهم للدين الإسلامي.

أولا : المكون اللساني

سنبدأ بدراسة خطاب الإمام الباقر ﷺ وفق البنيات التركيبية اللسانية وأولى هذه التقنيات اللسانية التركيبية :

١- الانزياح اللغوي - التركيبي

وهو تقنية أو خصيصة تؤدي إلى جدلية لغوية توترية تمتد إلى جسد النسيج اللغوي ، مخترقة سكونية الرصف الادائي .[٢٥]ويتمثل التشكيل اللغوي التركيبي بما يأتي :

أولا : انزياح الكلمة المفتاح أو الرمز ودورها في التركيب البنيوي والدلالي .

وتعرف الكلمة المفتاح بأنها تدور حول المعنى وتشكل شبكة من العلاقات بين المحاور النصية للمعنى على مستوى بنية النص ،ولذلك قيل إن النص يتخلق في رحمها ويتشكل في إطارها ، وهكذا فإنها تولد المعنى وتجسد الرؤيا الجوهرية للواقع .[٢٦]اما الكلمة الرمز فالممكن أن تكون كلمة المفتاح في النص أيضا ، ولذلك قيل إنها صورة الشيء محولا إلى شيء اخر ،

بمقتضى التشاكل المجازي ، بحيث يغدو لكل منهما الشرعية في ان يستغلق فضاء النص . [٢٧] ومن أمثلة ذلك لندرك قيمة الكلمة المفتاح في خطابات الإمام الباقر عليه السلام ماقاله في التحذير من المتشبهين بالصلحاء:

(فاعرف أشباه الأحبار والرهبان ، الذين ساروا بكتمان الكتاب وتحريفه ، فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين ، ثم اعرف أشبهاهم من هذه الأمة ، الذين أقاموا حروف الكتاب وحرفوا حدوده فهم مع السادة والكبرة ، فإذا تفرقت قادة الأهواء ، كانوا مع أكثرهم دنيا ، وذلك مبلغهم من العلم لايزالون كذلك في طبع وطمع ،ولا يزال يسمع صوت إبليس على ألسنتهم بباطل كثير، يصبر منهم العلماء على الأذى والتعنيف ، ويعيبون على العلماء بالتكليف، والعلماء في أنفسهم خانة، إن كتموا النصيحة ، ان راؤا تائها ضالا لا يهدونه ، أو ميتا لايحيونه، فبئس ما يصنعون ، لأن الله تبارك وتعالى اخذ عليهم الميثاق في الكتاب ان يأمروا بالمعروف وبما أمروا به ، وان ينهوا عما نهوا عنه ، وان يتعاونوا على البر والتقوى ، ولا يتعانوا على الإثم والعدوان).[٢٨]

فالكلمة المفتاح للمعنى العام للنص هي (فاعرف أشباه الأحبار والرهبان) فقد شكلت رابطا من التجانس والتنامي والتوالد في المعنى الإشهاري لصفة هؤلاء ومن تبعهم على المستوى الدلالي للخطاب ، إذ تقوم بدور دال النص ومحوره داخل النسق التراتيبي للخطاب من جهة، وعلى مستوى النسق العلائقي للمعنى المرتبط بالكلمات المتتالية من جهة أخرى .فالخطاب بدءا بهذه العبارة المفتاحية خلق مسافة توتر امتدت على مستوى العبارات التالية ، فكانت العبارة التالية تنماز سمة توترية حادة قوّت لغة الخطاب الإشهاري ب(الذين ساروا بكتمان الكتاب وتحريفه)وربطها بالسياق الكلي للخطاب ، ثم تلتها عبارة الختامية التي اغلقت الباب بوجه هؤلاء المتشبيهين بالأحباروالرهبان ، رغم ان الخطاب لم ينته بعد عند الامام عليه السلام المتمثلة ب(فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين) إذن التشهير الخطابي بينه الامام بعبارة افتتاحية ثم سرعان ماقفله بعبارة اشهارية ختامية لصفة هؤلاء التي ادت إلى (خلق انفعال باطني مكثف بدلالاته وايحاءاته)[٢٩].فالفعل الانجازي للعبارة الإشهارية التي تلت كلمة المفتاح المتمثل بـ(الذين ساروا)مثل القصدية والقوة اللفظية للغة الاشهار، فبقيت ملازمة

لمعنى جميع العبارات الأخرى والأفعال الأخرى في الخطاب (فالقوة المستلزمة الكامنة في الفعل الانجازي يتوصل بها عبر عمليات ذهنية استدلالية).[٣٠] ثم تلته العبارات المفصلة الإشهارية التي تدل على سوء أفعالهم المستلزمة للعبارة الافتتاحية وفعلها الانجازي المتمثلة بـ (حروف الكتاب وحدوده، يسمعون صوت إبليس على ألسنتهم ،يؤذون العلماء بالتعنيف،... وفي الختام الخطابي للتشهيرتظهر مخالفتهم لكتاب الله بما أمرهم به ونهاهم عنه .وهنا نلحظ انزياحا تركيبا ودلاليا كبيرا في المعنى الخطابي الذي أرسله الامام ﷺ لهؤلاء الفئة الضالة عبر كلمة المفتاح الذي بينه بمخالفتهم لأوامر الله تعالى ونهواهيه بدلا عن طاعتهم له . وقد حققت هذه الانزياحات الدلالية وظيفتين الأولى متمثلة بإسناد الحدث إلى فاعله والخطاب الإشهاري الملفوظ امتلك القدرة على الاقناع عبر الملفوظات الإشهارية المتتالية للفعل الانجازي . فالفعل الانجازي يحمل قيمة إخبارية اشهارية حادة .

ثانيا : انزياح الكلمة الصفة ودورها في التركيب

إنّ توظيف الصفات بالخطابات الإشهارية تعني كسر حاجز الرتابة بين الصفة والموصوف وخلق فجوة مسافة توتر حادة بينهما ، مما يولد فاعلية مزدوجةالتأثير والإدهاش من جهة وفاعلية المفاجأة وإحداث التوتر من جهة أخرى .[٣١]

ومن أمثلة ذلك ماورد عن الإمام الباقر ﷺ في وصف حال العلماء مع الجهال : (أولئك أشباه الأحبار والرهبان،قادة في الهوى ، وسادة في الردى ، وآخرون منهم جلوس بين الضلالة والهدى ، لا يعرفون إحدى الطائفتين من الأخرى ، يقولون ماكان الناس يعرفون هذا ،ولا يدرون ماهو ،وصدقوا تركهم رسول الله ﷺعلى البيضاء ، ليلها من نهارها ، لم يظهر فيهم بدعة، ولم يبدل فيهم سنة ،لا خلاف عندهم ولا اختلاف ، فلما غشى الناس ظلمة خطاياهم صاروا إمامين ، داع إلى الله تبارك وتعالى ، وداع إلى النار ، فعند ذلك نطق الشيطان فعلا صوته على لسان أوليائه ، وكثر خيله ورجله ، وشارك في المال والولد من أشركه ، فعمل بالبدعة وترك الكتاب والسنة ، ونطق أولياء الله بالحجة واخذوا بالكتاب والحكمة ، فتفرق من ذلك اليوم أهل الحق وأهل الباطل وتخاذل وتهادن أهل الهدى ، وتعاون أهل الضلالة حتى كانت

الجماعة مع فلانه وأشباهه ، فاعرف هذا الصنف ، وصنف اخر ، فأبصرهم رأي العين نجباء ، وألزمهم حتى ترد اهلك ، فان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، الا ذلك هو الخسران المبين).[٣٢]

يتميز النص بمجموعة صفات اشهارية ذات مؤشرات وقيم مضادة للمنطق الإسلامي الصحيح الحق الذي ثبت دعائمه الرسول الأكرم ﷺ حملها هؤلاء كمتلق سلبي انمازت صفاتهم بالانحراف عنه هم واتباعهم محققة هذه الصفات عنصري المفاجأة والدهشة مما يخلق حالة توتر عبر الاثارة الإشهارية في المشهد الصوري للخطاب الإشهاري التي تمثلت ب(قادة في الهوى / سادة في الردى، عملوا بالبدعة وتركوا السنة)وتمركز دالاتها ومدولاتها في البؤرة النصية للخطاب الإشهاري ومايزيد التوتر حالة التضاد التي تصنعها الصفات بين من تفرقوا على امامين وتسمى هذه الاستراتيجية ب(الاشهار المباشر) وفيه يتعمد المرسل استعمال المفردات والصفات والأساليب الإشهارية المباشرة ويعلن صراحة عن آرائه ويؤكد عليها .[٣٣]وبذلك أضحت هذه الصفات بانزياحاتها التركيبية تمثل ايذانا بالولوج إلى عالم يحوي قدرا كبيرا من المغايرة والمغالطة الدينية المشبوهة والدليل على ذلك، جاءت الخاتمة الإشهارية بقول الإمام ﷺ (ذلك هو الخسران المبين) هذا الدليل القرآني الثابت الذي يحوي أفق غيبي بالغ الخطورة .

ثالثا: الازدواج الصوتي والدلالي

وهو فاعلية لغوية خاصة بالصوت والكلمة والجملة والتركيب ، يؤدي دورا هاما في ازدياد فاعلية النص وتماسكه ، فهو شكل لغوي فني يهتم بالتراكيب والبنى الصرفية والأصوات ، ويؤدي هاما في رصد أوجه الترابط والانسجام والتفاعل في بنية النص بين الأبنية الصغرى الجزئية والبنية الكلية الكبرى التي تجمعها في هيكل نحوي دلالي خاص.[٣٤]والجدير بالذكر أن الازدواج على أنواع من أهمها:

الازدواج الصوتي والازدواج التركيبي ، وقد تحقق هذان النوعان في خطابات الإمام الباقر ﷺ كتقنية إيقاعية _تركيبية تزيد من فاعلية الإشهار في النصوص ، ومن أمثلة ذلك ماورد في وصاياه ﷺ لأصحابه ،منها وصيته لجابر بن يزيد الجعفي :

((ليعن قويكم ضعيفكم ، وليعطف غنيكم على فقيركم ، ولينصح الرجل أخاه كنصحه لنفسه ، واكتموا أسرارنا ، ولا تحملوا الناس على أعناقنا ، وانظروا أمرنا وما جاءكم عنا ، فإن وجدتموه للقرآن فخذوا به ، وان لم تجدوه موافقا فردوه ، وان اشتبه الأمر عليكم فيه فقفوا عنده ، وردوا الينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا ، وإذا كنتم كما أوصيناكم ، لم تعدوا غيره ، فمات منكم قبل ان يخرج قائمنا كان شهيدا ، ومن أدرك منكم قائمنا فقتل معه كان له أجر شهيدين ، ومن قتل بين يديه عدوا لنا كان له اجر عشرين شهيدا))[٣٥]

نشاهد في وصية الإمام ﷺ إن الازدواج الصوتي والتركيبي لعب دورا فاعلا في إثارة المشهد الإشهاري لوصايا الإمام ﷺ فكشفت نبرات الخطاب عن أزدواج صوتي بين كل جملتين ليناسب المعنى الذي يريده ، فعبارة إعانة القوي للضعيف وعبارة عطف الأغنياء على الفقراء متناسبة في الإيقاع الصوتي عبر ذلك الازدواج التركيبي ، كذلك الصورة الأخرى في كتم الاسراروعدم حمل الناس على الأعناق مثلت شكلا مزدوجا متلائما مع القصد مما يولد نغمات ايقاعية مزدوجة .فهنا حدث مايسمى بـ (التعيين بالاشهار)[٣٦] وهي إحدى الاستراتيجيات الخطابية المتبعة أي تعيين المقصودين بالخطاب الذين ذكرهم الإمام ﷺ في خطابه (القوي والضعيف والفقير والغني الآخذين بتعاليم القرآن) فالازدواج التركيبي خلق فاعلية لغوية وايقاعية خاصة عبر تماثل كل عبارتين متماثلتين بين التقابل بين الجمل من جهة والازدواج والتفاعل بين الحروف والاصوات من جهة ثانية .

ومن أمثلة ذلك أيضا ماورد في خطاب الإمام ﷺ وهو يصف شيعته :

(إن أولياء الله وأولياء رسوله من شيعتنا ، من إذا قال صدق ، وإذا وعد أوفى ،وإذا اؤتمن أدى، وإذا حمل في الحق احتمل ، وإذا سئل الواجب أعطى ، وإذا أمر بالحق فعل ، شيعتنا من لايعدو علمه سمعه ، شيعتنا من لايمدح لنا معيبا ولا يواصل لنا مبغضا ، ولا يجالس لنا قاليا، إن لقي مؤمنا أكرمه، وان لقي جاهلا هجره، شيعتنا من لايهر هرير الكلب ، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل أحدا إلا من إخوانه ، وان مات جوعا ، شيعتنا من قال بقولنا وفارق أحبته فينا ، وأدنى البعداء في حبنا ، وابعد القرباء في بغضنا).[٣٧]

نلاحظ في الخطاب الإشهاري أعلاه التعادل النسقي في البنيات التركيبية التي تزيد من حركية الايقاع المتناغمة لما فيها من مثيرات اشهارية كثيفة محفزة للمعنى عبر الأنساق اللغوية المتناظرة ، فنلاحظ أن الإمام ﷺعبر عباراته هذه يكشف عن أهم صفات شيعته بالإشهار بأسلوب الجزم والشرط والإشهار بالتفضيل فهؤلاء هم النخبة المفضلة الذين يحق لهم أن يصفوا أنفسهم بأنهم من شيعة الإمام وأتباعه وهو صنف من الأفعال الانجازية والتأثيرية) الدالة على قوتها ودلالة غرضها (الدالة على الالتزام والتعهد)وهذه الأفعال تستند إلى القصدية[٣٨] ولذلك قيل ان هذه الافعال تمثل حلقة مفصلية في التواصل بين المرسل والمرسل إليه ، إذ يعول عليه الفعل الانجازي في الافعال الكلامية .[٣٩] فالأفعال الإنجازية في خطاب الامام ﷺ في (إذا قال صدق ،وإذا وعد أوفى ،وإذا اؤتمن أدى ،وإذا حمل في الحق احتمل ، وإذا سئل أعطى ،إلى آخره من الصفات)فعدت هذه الأفعال الانجازية مرتكز فاعلية الإشهار ومحط انبثاق رؤاه والدافعة للحراك الاثاري الإشهاري ومكثفة للمعنى الدلالي، فالإمام ﷺ وفق هذا التركيب الازدواجي للملفوظات أراد إظهار قيمة هولاء الأشخاص الذين يحق لهم ان يقال لهم شيعة الإمام وأتباعه .

٢_ التبئير ودلالاته المتنوعة

أولا: التبئير التصويري والتمركز المشهدي

ويراد به التمركز المشهدي حول صورة معينة ، تمثل بؤرة الحركة التصويرية ومحور استقطابها للصور والدلالات الأخرى ، على نحو يؤدي تبئيرها المشهدي إلى خلق تآلف تصويري حول دائرة البؤرة المركزية التصويرية التي تفعل المشهد النصي العام بكامله وتؤدي إلى زحزحة الإيقاع التصويري المألوف لخلق مفارقة تصويرية مشهدية .[٤٠]ولعل ابرز شاهد على هذا النوع من التبيئر هو خطاب الإمام الباقر ﷺ في ذكر صفات عباد الله الصالحين وهو خطاب اشهاري لذكر صفاتهم المخلصة لله تعالى كما يريدهم بها ، لذا جاء قوله ﷺ:

(وإن أحسن الناس فعلا من فارق أهل الدنيا من والد وولد ، ووالى ووازر وناصح وكافا إخوانه في الله ، وإن كان حبشيا أو زنجيا ، وإن كان لايبعث من المؤمنين أسود ، بل يرجعون كأنهم

البرد ، قد غسلوا بماء الجنان ، وأصابوا النعيم المقيم ، وجالسوا الملائكة المقربين ، ورافقوا الأنبياء المرسلين ، ...شيعتنا المنذرون في الأرض سرج وعلامات و نور لمن طلب ما طلبوا ، وقادة لأهل طاعة الله ، شهداء على من خالفهم ممن ادعى دعواهم ، سكن لمن أتاهم، لطفاء بمن والاهم ، سمحاء ، اعفاء ، رحماء ، فذلك صفتهم في التوارة والانجيل والقرآن العظيم)[٤١]

يتضح عبر المشاهد التصويرية لصفات عباد الله الصالحين تقنية التبيئر المشهدي المركز في تمركز الدوال والمدلولات في اتجاه بؤري واحد محدد هو تعيين إشهاري لصفات هؤلاء العباد الصالحين برسم الصور الايجابية لهم فالصور هي (غسلوا بماء الجنان ، اصابوا النعيم المقيم ، جالسوا الملائكة الصالحين ، رافقوا الأنبياء المرسلين ، سرج ونور ، قادة لأهل طاعة الله ،رحماء، سمحاء ، اعفاء ، لطفاء) فالإمام ﷺ يعرض سلسلة من الصور المشهدية الايجابية لهم تتفاعل فيما بينها لتخلق بؤرة مشهدية مركزة هي رضا الله تعالى عنهم من تكون هؤلاء صفاتهم . وتتحقق تلك الرؤية المشهدية المتمركزة عبر الوظيفة الإشهارية التي حققتها تلك الصور المشهدية التصويرية في ختام الموجه الخطابي النصي بوجود ذكرهم في الأديان السماوية الثلاثة لإعلاء شأنهم.

ثانيا : التبيئر التضادي

ويقصد به التمركز الدلالي القائم على ديالكتيك المفارقة أو التضاد بين جزئيات الصورة، أوبين التراكيب اللغوية التي تتضمن معان لغوية جديدة ، لخلق مفارقة تصويرية أو لغوية بين الثنائيات الضدية ، بإبراز التناقض بين طرفي المفارقة لتكمل الحركة التصويرية أو المشهدية المجسدة بكل إثارتها الدلالية والاقناعية [٤٢]

فمن امثلة ذلك ماورد عن الإمام ﷺ في الاستعاذة بالله سبحانه

(اللهم أني أعوذ بك من الشر ، وأنواع الفواحش كلها ، ظاهرها وباطنها وغفلاتها ، وجميع ما يريدني به الشيطان الرجيم ، وما يريدني به السلطان العنيد ، مما احطت بعلمه ، وأنت القادر على صرفه عني، اللهم إني أعوذ بك من طوارق الجن والإنس ،وزوابعهم وبوائقهم ومكايدهم ، ومشاهد الفسقة من الجن والانس ، وان استزل عن ديني فتفسد علي آخرتي ، وان يكون ذلك منهم ضررا علي في معاشي ، أو يعرض بلاء يصيبني منهم ، لا قوة لي به ولا صبر لي

على احتماله فلا تبتلينا إلهي بمقاساته ، فيمنعني ذلك عن ذكرك ويشغلني عن عبادتك ، أنت العاصم الدافع الواقي من ذلك كله)[٤٣]

نشاهد في كلام الإمام ﷺ مكمن المفارقة والتضاد عبر التصوير للمشاهد التي يعملها الشيطان حتى يطيح بالإنسان ويغريه بأعماله ولذلك تعد تقنية التبيئر التضادي التقنية الأبرز في التشهير بأعمال الشر التي يقوم بها الشيطان لأجل توصيف غاية التوتر والتناقض الذي يفقد الإنسان التوازن ، فهذه الصور المتناقضة التي أشار إليها الإمام ﷺ تحدث حراكا شعوريا مكثفا في توصيف صفات الشياطين من الإنس والجن وهي بذلك تشكل بؤرة الحدث الإشهاري الذي صنع المفارقة والتي تفرض على المتلقي نسقا مغايرا من التفاعل في مضمرات النص .

ثانيا : المكون الأيقوني (العلاماتي)

تمثل الأيقونات من التقنيات الإشهارية المهمة التي تساعد في تأويل النصوص واستكناه معانيها وأبعادها الدلالية ، ولذا تُعد أحد أشكال العلامة يبدو لنا فيه الدال شبيها أو محاكيا للمدلول على نحو واضح من حيث المظهر أو الصوت أو الملمس أو المذاق أو الرائحة أي ممثلا له في بعض خصائصه ، ومن هذه الاشكال الايقونة للعلامة : الصورة الشخصية والرسوم التوضيحية والنماذج القياسية والكلمات التي تحاكي في صورتها معناها والاستعارات اللغوية .[٤٤]

ومن امثلة ذلك ماورد في خطابات الإمام الباقر ﷺ فالعلامات الايقونية عند الإمام جاءت بملفوظات استعارية وتشبيهية متنوعة

في قوله ﷺ في كتاب الله إمامان : إمام الهدى ، وإمام الضلال فأما أئمة الهدى فيقدمون أمر الله قبل أمرهم ، وحكم الله قبل حكمهم . وأما أئمة الضلال ، فإنهم يقدمون أمرهم قبل أمر الله ، وحكمهم قبل حكم الله ، اتباعا لأهوائهم وخلافا لما في كتاب .[٤٥]

تتضح في نص الإمام ﷺ أيقونة بارزة التي تشير إلى إمامي الهدى والضلالة، فالأيقونة قائمة على الاستعارة مما يجعلها قابلة لفضاء من التأويلات ومما يميزها توازيها المتناظر مع الأيقونة الأخرى المضادة لها في المعنى وتواليها النسقي وحراكها التوتري وفق معطيات يبرزها السياق النصي الإشهاري ويتحكم في توجهاتها النصية واستراتيجيتها الدلالية .

وتتوارد الأمثلة الإشهارية الأيقونية كثيراً في خطاب الإمام الباقر ﷺ فمن ذلك أيقونة التقوى فيجعل منها الإمام بكلامه مفتاحا تأويليا لكل الخير والرضا والعطاء والنجاة من المهالك: (أما بعد ، فاني أوصيك بالتقوى ، فان فيها السلامة من التلف ، والغنيمة في المنقلب ، إن الله يقي بالتقوى عن العبد ماعزب عنه عقله ، ويجلي بالتقوى عنه عماه وجهله ، وبالتقوى نجا نوح ومن معه في السفينة ،وصالح ومن معه من الصاعقة ، وبالتقوى فاز الصابرون ، ونجت تلك العصب من المهالك ، ولهم اخوان على تلك الطريقة يلتمسون الفضيلة ، نبذوا طغيانهم من الايراد بالشهوات لما بلغهم في الكتاب من المثلات ، حمدوا ربهم على مارزقهم ، وهو اهل الحمد وذموا أنفسهم على مافرطوا ، وهم أهل الذم ..)[٤٦]

فجعل الإمام ﷺ التقوى أيقونة الأمان والخير والسلامة والنجاة والفضيلة والابتعاد عن الشهوات فهي علامة أيقونية متلازمة لكل هذه الأفعال الحسنة ، وبهذا يفصح خطاب الامام عن المنافع الكثيرة التي تجلبها أيقونة التقوى فأصبحت أيقونا علاميا بارزا لتحقيق كثير من الخيرات المستوحاة من الواقع المعيش ،فالمعنى داخل العلامة الأيقونية يستدعي استحضار التجربة الثقافية بوصفها شرطا أوليا للامساك بممكنات التدليل .[٤٧] فالعلامات الأيقونية منحت الخطابات المقدسة بعدا ايحائيا فاعلا في المتلقي لما احتوته من مشاهد موحية تحايث المنظور الواقعي وتتجسد فيه .

ثالثا : البعد الوظيفي الثقافي للعلامات

تعرف الثقافة بأنها : (ذلك الكل المتكامل الذي يشمل المعرفة ، والمعتقدات والفنون والأخلاقيات والقوانين والأعراف والقدرات الأخرى وعادات الإنسان المكتسبة بوصفه عضوا في المجتمع).[٤٨]

ويتجسد البعد الوظيفي الثقافي للعلامة عبر منظورين ، الأول بلحاظ الفضاء المفتوح والثاني بلحاظ الفضاء المغلق .[٤٩]

أولا : الوظيفة الثقافية بلحاظ الفضاء المفتوح

ومن مصاديق الوظيفة الثقافية للعلامات في خطاب الإمام الباقر ﷺ ماورد من وصايا للإمام ﷺ تمثل فضاء ثقافيا عاما مفتوحا لجميع البشر :

وإياك والثقة بغير المأمون ،فان للشر ضراوة كضراوة الغذاء

واعلم ان لاعلم كطلب السلامة،ولا سلامة كسلامة القلب .

ولا عقل كمخالفة الهوى .

ولا خوف كخوف حاجز.

ولا رجاء كرجاء معين .

ولا فقر كفقر القلب

ولا غنى كغنى النفس

ولا قوة كغلبة الهوى.

ولا نور كنور اليقين.

ولا يقين كاستصغارك الدنيا

ولا معرفة كمعرفتك بنفسك.

ولا نعمة كالعافية.

ولا عافية كمساعدة التوفيق .

ولا شرف كبعد الهمة.

ولا زهد كقصر الامل

ولا حرص كالمنافسة في الدرجات .

ولا عدل كا الانصاف

ولا تعدي كالجور.

ولا جور كمرافقة الهوى.

ولا طاعة كأداء الفرائض.

ولا خوف كالحزن.

ولا مصيبة كعدم العقل.

وإياك والتفريط عند إمكان الفرصة،فانه ميدان يجري لأهله بالخسران.[٥٠]

نلاحظ عبر هذه الوصايا التي يقدمها الإمام ﷺ هي وصايا عامة تشمل جميع البشر في الحث على التعامل الصحيح في هذه الحياة وتحكيم العقل والبعد عن مرافقة الهوى والائتمان بالأشخاص المؤتمنين والاهتمام بالنفس والعافية ،فهي تضمر رؤى ودلالات ثقافية عامة مفتوحة تمثل محط اهتمام جميع البشر العقلاء منهم .

ومن أمثلة الفضاء المفتوح أيضا في الوظيفة الثقافية عند الإمام ﷺفي التخلق بالأخلاق الحسنة وهي ثقافية سلوكية تنفع جميع البشرقوله في إحدى وصايه الشريفة :(وأوصيك بخمس، إن ظلمت فلا تظلم ،وان خانوك فلا تحن ،وان كذبت فلا تغضب،وان مدحت فلا تفرح ،وان ذممت فلا تجزع ،وفكر فيما قيل فيك ، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك ، فسقوطك من عين الله جل وعز عند غضبك من الحق ، أعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس ، وان كنت على خلاف ماقيل فيك ،فثواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك)[٥١]

ثانيا : الوظيفة الثقافية بلحاظ الفضاء المغلق

وينظر إليها بعدّها منطقة محددة تقابلها وقائع أخرى تنتمي إلى التاريخ والتجربة والنشاط الإنساني خارج تلك المنطقة .[٥٢] ومن أمثلة الثقافة في الفضاء المغلق شعائر الحج والميراث الصلاة والصوم والجهاد وغيرها من الأعمال الإسلامية الخاصة بالمجتمع الإسلامي ، فمن ذلك كلامه ﷺ عن الجهاد:

(ومن ذلك ما ضيع الجهاد الذي فضله الله تعالى على الأعمال ، وفضل عامله على العمال تفضيلا في الدرجات والمغفرة والرحمة ، لأنه ظهر به الدين ، وبه يدفع عن الدين ، وبه اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة بيعا مفلحا منجحا ، اشترط عليهم فيه حفظ الحدود وأول ذلك الدعاء إلى طاعة الله تعالى من طاعة العباد وإلى عبادة الله من عبادة العباد ، وإلى ولاية الله من ولاية العباد ، فمن دعي إلى الجزية فأبى قتل وسيئ أهله ، وليس الدعاء من طاعة عبد إلى طاعة عبد مثله ، ومن اقر بالجزيةولم يتعد عليه ، ولم تخفر ذمته ، وكلف دون طاقته ، وكان الفيئ للمسلمين عامة غير خاصة ، وان كان قتال وسبي سير في ذلك بسيرته وعمل في ذلك بسنته من الدين ...)[٥٣]

فالقارئ للنص يستطيع تحديد الفضاء الثقافي الإسلامي للحج وقوانينه ، لأن الفضاء الذي

يتحرك فيه النص مرتبط بلغة وبنية الخطاب الثقافي الذي يحمل المخزون الثقافي الخاص بالجهاد عند المسلمين ويمكن ان يعد منحى إشهارياً ضمنياً خاصاً يضفي على النص طابع الموضوعية الثقافية الدينية وسلوك وقوانين الجهاد الذي أراده الدين الإسلامي .

ومن ذلك أيضا ماورد في خطاب الامام الباقر ﷺ في علامة الأولياء

(واعلم بأنك لاتكون لنا وليا حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا : انك رجل سوء لم يحزنك ذلك ، ولو قالوا : إنك رجل صالح لم يسرك ذلك ،ولكن اعرض نفسك على كتاب الله ، فان كنت سالكا سبيله ، زاهدا في تزهيده ، راغبا في ترغيبه ، خائفا من تخويفه فاثبت وابشر ، فأنه لايضرك ما قيل فيك ،وان كنت مبائنا للقرآن، فما الذي يغرك من نفسك)[٥٤]

وتعد من ضمن ثقافة المؤمن وعلامته فالإمام ﷺ يؤسس لمنظومة قيمية هامة التي يجب ان يتحلى بها المؤمن ، فالخطاب بأكمله مثل علامة ثقافية _اشهارية ذات فضاء مغلق خاص بالإنسان المؤمن الذي من أول سلوكياته هي الالتزام بكتاب الله تعالى .وهي تسمى من العلامات الايقونية الكيفية ، فالطاعة التي يتوسم بها المؤمن تتمثل مصاديقها الكيفية في التعامل والتمسك بكتاب الله المنزل وهي تمثل من لدن الامام الباقر ﷺ إشارة توعوية ثقافية مفادها ان أولى سمات وعلامات المؤمن هي الالتزام بمبادئ القرآن والتعاليم السماوية .

ثم يليه نصا آخر للإمام الباقر ﷺ في بيان أحوال المؤمن :

(إن المؤمن معني بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها ، فمرة يقيم أودها، ويخالف هواها في محبة الله ، ومرة تصرعه نفسه فيتبع هواها فينعشه الله فينتعش ، ويقيل الله عثرته فيتذكر، ويفزع إلى التوبة والمخافة فيزداد بصيرة ومعرفة لما زيد فيه من الخوف ، وذلك بأن الله يقول : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[٥٥]

ينص البعد الوظيفي الثقافي لعلامات المؤمن في خطاب الإمام ﷺ في السلوك الحسن والتعامل الصحيح حتى وإن أخطأ المؤمن في مصارع الهفوات فينقذه الله تعالى بالتوبة والمغفرة فيزداد بصيرة وطمأنينة ، فالتأويل للعلامة الثقافية تعد في فضاء مغلقا فتختلف قراءتها وتفكيك عناصرها تبعا للمخيال الثقافي والديني الخاص .

الخاتمة

أولا : مثلت خطابات الإمام الباقر ﷺ نمطا اشهاريا متميزا في مختلف الموضوعات لما له من القدرة في تشخيص الظواهر وبث إيحاءاتها الدلالية والكشف عن علاقاتها وعناصرها الخفية .

ثانيا : اتخذت الخطابات الإشهارية في نصوص الإمام ﷺ أشكالا متعددة ومتنوعة لإغناء البنيات التصويرية ولتكثيف البؤرة الدلالية وليزيد أثرها عند المتلقي .

ثالثا : ان التحول البنيوي والدلالي الذي يثيره الخطاب الإشهاري يمثل خصيصة لغوية _إيقاعية _تركيبية ممتدة في نسيج الخطاب ومشكلة بؤرة الحدث الإشهاري المتمثلة بالكلمة المفتاح أو الرمز.وقد مثلت الكلمات المفاتيح في خطابات الإمام الباقر ﷺ مرتكزا فاعلا على مستوى بنية النص التركيبية والدلالية

رابعا : ومثلت الصفات الايجابية والمضادة لها التي وردت في خطابات الإمام ﷺ ملفوظات تعبيرية ذات طابع إشهاري تعكس نسقين متغايرين يندرج تحت مايسمى ب(سيميولوجيا الإبلاغ)التي تمتلك القدرة على التأثير والتواصل في ذهن المتلقي .

خامسا :مثلت فاعلية الازدواج الصوتي والدلالي فاعلية لغوية خاصة بالتركيب والكلمة معا ، ويؤدي دورا مهما في ازدياد فاعلية النص الإشهاري وتماسكه وقد احتلت مكانة في خطابات الإمام الباقر ﷺ برصد أوجه الترابط والانسجام بين البنيات الصغرى والكبرى في الخطاب لكونه يمثل منحى إشهارياً يضفي على النص صفة التأثير والموضوعية .

سادسا : يمثل التبيئر بنوعيه التصويري والتضادي التمركز الايقاعي والدلالي لسلسة من العلامات والأيقونات الإشهارية التي تشكل رؤية النص الجوهرية وقد ارتكزت صورتي التبيئر في خطابات الإمام مدللة على تفعيل الدلالة المركزيةفي التركيب وخلق فجوة التوتر بين الدال والمدلول .

سابعا : أما المكونات الأيقونية العلاماتية عدت مرتكزا مهما اعتمد عليها النص الإشهاري في خطابات الإمام عبر المزاوجة بين وظيفتي التعبيرية والتأثيرية وعبر توظيف الاستعارات والتشبيهات لتتسع دائرة النص وفضاء التأويل الثقافي بنوعيه الفضاء المفتوح والفضاء المغلق وقد مثلنا بنماذج مثلت كلا النوعين .

الهوامش

١- لسان العرب : ابن منظور / مادة خطب ، دار الكتب العلمية لبنان ،٣٦١

٢- سورة ص :٢٠

٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي ،بيروت ط١ ، ٤ / ٨١.

٤-سورة ص:٢٣

٥- الصناعتين (الكتابة والشعر) : ابو هلال العسكري : تح محمد البجاري ومحمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ،بيروت ،١٩٨٦ ،١٠.

٦- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ابن الاثير ، تح كامل عويضة ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ،١٩٩٨، ٢ / ٦٢

٧- معجم تحليل الخطاب : باتريك شاردو _دومنيك منغو :١٨١

٨- المصدر نفسه : ١٨١

٩- المصطلحات الاساسية في لسانية النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية : نعمان بوقرة ، ١٣

١٠- ينظر اللسانيات ونظرية التواصل : رومان جاكوبسون نموذجا ، عبد القادر الغزالي ، دار الحوار اللاذقية ، سوريا ، ط١ ،٢٠٠٣ ،٣٧.

١١- ينظر نظرية التواصل اللساني ، المفهوم والرؤية ، علي جواد الذبحاوي ، د. بشرى محمد طه البشير ، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والنفسية والانسانية ، العدد ٣٨،نيسان ،٢٠١٨

١٢- ينظر المحاورة مقاربة تداولية ، د. حسن بدوح ، عالم الكتب الحديث ، اربد الاردن، ط١ ،٢٠١٢ ،٣٤

١٣- ينظر قضايا الشعرية : رومان جاكوبسون ، ينظر التواصل اللساني (مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكوبسون ، الطاهر بومزبر ، الدار العربية ، بيروت ، منشورات الجزائر ، ط١ ، ٢٠٠٧ ،١٣

١٤- ينظر التواصل اللساني والشعرية _مقاربة تحليلية ، ٢٦

١٥- ينظر المدارس اللسانية المعاصرة: د. نعمان بو قرة ، مكتبة كلية الاداب ، الجزائر ، ، ط١ ، ٢٠٠٣ ،٩٩

١٦- ينظر التواصل اللساني والشعرية : ٢٨

١٧- ينظر لسان العرب ، ابن منظور ، مادة شهر ، ٤٨٧

١٨- ينظر صناعة الخطاب الاشهاري (دراسة تداولية) ،د. مريم الشنقيطي ، دار كنوز للنشر والتوزيع ، عمان ،٢٣.

١٩- دراسات في تحليل الخطاب غير ادبي ، بشير ابرير ، جامعة عنابة ، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع ، ٩٧

٢٠- سيميولوجيا الاتصال في الخطاب الإشهاري البصري ، عبد الواحد كريمة ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، جامعة غرداية ، الجزائر ،٤١

٢١- ينظر صناعة الخطاب الاشهاري : ٢٥ _ ٢٦

٢٢- سيميولوجيا الاتصال في الخطاب الاشهاري ، ٣٨

٢٣- ينظر اساليب الاقناع في الخطاب الاشهاري (مقاربة سيميائية) : ٣٠

٢٤- المصدر نفسه : ٣٠
٢٥- ينظر ظواهر اسلوبية في شعر بدوي الجبل : د. عصام شرتح ، ط١ ، دار المعتز الاردن :١٠٠،٢٠١٨
٢٦- المصدر نفسه : ١٠٤
٢٧- وعي الحداثة دراسة في جمالية الحداثة الشعرية : سعد الدين كليب ، اتحاد الكتاب العرب ، ٧١
٢٨- مكاتيب الائمة : ج٣، ٢٣٤.
٢٩- ظواهر اسلوبية في شعر بدوي الجبل : ١٠٧
٣٠- ينظر صناعة الخطاب الاشهاري : ١٤٥
٣١- ينظر ظواهر اسلوبية في شعر بدوي الجبل: ١١٢
٣٢- مكاتيب الائمة : ج٣/ ٢٣٤_٢٣٥
٣٣- ينظر صناعة الخطاب الاشهاري : ٩١
٣٤- ظواهر اسلوبية في شعر بدوي الجبل : ١٦٥
٣٥- مكاتيب الائمة : ٢٧٣_ ٢٧٤
٣٦- ينظر صناعة الخطاب الاشهاري : ٤٥
٣٧- مكاتيب الائمة : ٢٨١.
٣٨- ينظر التدوالية واستراتيجية التواصل : ذهبية حمو الحاج ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٥ ، ١٩١.
٣٩- ينظر صناعة الخطاب الاشهاري : ١٤٥
٤٠- ينظر اللغة الشعرية عند بدوي الجبل (دراسة في الاساليب الشعرية) : د. عصام عبد السلام شرتح ، ط١ ، دار ابن المعتز الأردن ،٢٠١٨ ،٥١_٥٢.
٤١- مكاتيب الائمة : ج٣ ، ٢٨٢
٤٢- اللغة الشعرية عند بدوي الجبل : ٥٦_٥٧
٤٣- مكاتيب الائمة : ج٣ / ٢٣١
٤٤- معجم المصطلحات الاساسية في علم العلامات (السيموطيقيا) : تشارندلز دانيال ،ترجمة شاكر عبد الحميد :٨١
٤٥- مكاتيب الائمة : ج٣ ،٢٣٧
٤٦- المصدر نفسه : ج٣ ،٢٣٣
٤٧- ينظر السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها : سعيد بنكراد ،دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط٢ ، ١٢٠،٢٠٠٥
٤٨- الدراسات الثقافية : زيود ينسار ، بورين فان لور ، ترجمة وفاء عبد القادر ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ٨
٤٩- ينظر مدرسة تارتو_ موسكو ،يوري لوتمان ، مجلة عالم الفكر،ع٣ ،مج ٣٥ ،يناير_مارس،٢٠٠٧ ،١٨٧
٥٠- مكاتيب الائمة : ج٣ / ٢٧١_٢٧٢

٥١- المصدر نفسه : ج٣/ ٢٦٩

٥٢- من النص الى النص المترابط مدخل الى جماليات الابداع التفاعلي : سعيد يقطين ،١١٨

٥٣- مكاتيب الائمة :ج٣ / ٢٦١ -٢٦٢

٥٤- المصدر نفسه : ٢٦٩

٥٥- مكاتيب الائمة :ج٣/ ٢٦٩ .الاعراف :٢٠١

المصادر والمراجع

* أساليب الاقناع في الخطاب الاشهاري اشهارات _موبليس_ انموذجا(مقاربة سيميائية) :اعداد الطالبتين بن ناصر لامية ، بركاني حليمة ، جامعة عبد الرحمن ميرة _بجاية ، كلية الاداب واللغات ، ٢٠١٦_٢٠١٧
* التداولية واستراتيجية التواصل : ذهبية حمو الحاج ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٥ .
* التواصل اللساني والشعرية (مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكوبسون): الطاهر بومزر ، الدار العربية ، منشورات الجزائر،ط١ ، ٢٠٠٧
* الدراسات الثقافية : زيود ينسار ، بورين فان لور ، ترجمة وفاء عبد القادر ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ،
* دراسات في تحليل الخطاب غير ادبي ، بشير ابرير ، جامعة عنابة ، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع ،
* السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها : سعيد بنكراد ،دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط٢ ، ٢٠٠٥،١٢٠
* سيميولوجيا الاتصال في الخطاب الاشهاري البصري ، عبد الواحد كريمة ، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ، جامعة غرداية ، الجزائر
* صناعة الخطاب الإشهاري (دراسة تداولية) ،د. مريم الشنقيطي ، دار كنوز للنشر والتوزيع ، عمان ،٢٣.
* الصناعتين (الكتابة والشعر) : أبو هلال العسكري : تح محمد البجاري ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ،بيروت ،١٩٨٦.
* ظواهر اسلوبية في شعر بدوي الجبل : د. عصام شرتح ،دار المعتز ، الاردن ،٢٠١٨
* قضايا الشعرية : رومان جاكوبسون ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي ،بيروت ط١ ، ٤ / ٨١.
* لسان العرب : ابن منظور / مادة خطب ، دار الكتب العلمية لبنان ،٣٦١
* اللسانيات ونظرية التواصل : رومان جاكوبسون نموذجا ، عبد القادر الغزالي ، دار الحوار اللاذقية ، سوريا ، ط١ ،٢٠٠٣ .
* اللغة الشعرية عند بدوي الجبل (دراسة في الاساليب الشعرية) : د. عصام عبد السلام شرتح ، ط١ ، دار ابن المعتزالاردن ،٢٠١٨
* المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ابن الاثير ، تح كامل عويضة ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط١ ،١٩٩٨ .
* المحاورة مقاربة تداولية ، د. حسن بدوح ، عالم الكتب الحديث ، اربد الاردن، ط١ ،٢٠١٢ .
* المدارس اللسانية المعاصرة: د. نعمان بو قرة ، مكتبة كلية الاداب ، الجزائر ، ، ط١ ، ٢٠٠٣ .
* مدرسة تارتو_ موسكو ،يوري لوتمان ، مجلة عالم الفكر،ع٣ ،مج ٣٥ ،يناير _مارس،٢٠٠٧ .
* المصطلحات الاساسية في لسانية النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية : نعمان بوقرة .
* معجم المصطلحات الاساسية في علم العلامات (السيموطيقيا) : تشارندلز دانيال ،ترجمة شاكر عبد الحميد :٨١
* معجم تحليل الخطاب : باتريك شاردو _دومنيك منغو :
* مكاتيب الائمة الامام الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي ﷺ: علي الاحمدي الميانجي ، تحقيق ومراجعة مجتبى فرجي ، ج٣ ، دار الحديث

للطباعة والنشر ، ايران / قم المقدسة.
* مـن النـص الى النـص المترابـط مدخـل الى جماليـات الابـداع التفاعـلي : سـعيد يقطـين ،١١٨
* نظريـة التواصـل اللسـاني ، المفهـوم والرؤيـة ، عـلي جـواد الذبحـاوي ، د. بـشرى محمـد طـه البشـير ، مجلـة كليـة التربيـة الاساسـية للعلـوم التربويـة والنفسـية والانسـانية ، العـدد ٣٨،نيسـان ،٢٠١٨
* وعـي الحداثـة دراسـة في جماليـة الحداثـة الشـعرية : سـعد الديـن كليـب ، اتحـاد الكتـاب العـرب ،

دور الإمام محمد الباقر عليه السلام في تأسيس الاجتهاد الفقهي

أ.م.د جبار محارب عبد الله

جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية

تمهيد

تشتمل المنظومة الدينية الإسلامية على ثلاثة أبعاد رئيسة: العقائد، الفقه، الاخلاق، وقد أولى أئمة آل البيت عليهم السلام عموماً والإمام محمد الباقر عليه السلام خصوصاً البعد الفقهي إلى جانب البعدين الآخرين، عناية فائقة نظراً لأهمية الفقه في حياة الإنسان، فإنّ الفقه هو الذي يتكفل بتنظيم حياة الإنسان وتحديد الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعاله وتروكه.

وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي عاشها الإمام الباقر عليه السلام، نتيجة مضايقة السلطة الأموية للإمام عليه السلام، ومراقبة تحركاته، ومحاولة فصله عن قواعده الشعبية من جهة، ومن جهة اخرى التنكيل بأصحابه، وتتبع آثارهم، وتعذيبهم بأبشع انواع التعذيب، نجد أنّ الإمام عليه السلام استطاع أنْ يمارس دوره في بيان الفقه والأحكام، ولم يدخر جهداً في هذا المجال، حيث كانت له عليه السلام جهود واضحة في مجال إعداد فقهاء لهم القدرة على بيان الأحكام الشرعية، وايصالها إلى المكلفين بطرق مختلفة، وتأسيس قواعد اصول الفقه، التي من خلالها يستطيع الفقيه استنباط الحكم الشرعي.

وقد تمخض عن تلك الجهود مجموعة من الروايات التي تتعلق بالجانب الفقهي، والتي اصبحت محط نظر الفقهاء، حيث تناولوها بالبحث والتحقيق، والاستناد إليها في مقام الإفتاء، وفي ابواب مختلفة من الفقه، ومجموعة من الروايات التي تتعلق بالجانب الاصولي، ومجموعة من الفقهاء العاملين الذين كان لهم دور ريادي في مجال التثقيف الفقهي.

والحديث في هذا الموضوع يقع في ثلاثة مباحث:

المبحث الأوّل: حياة الإمام الباقر عليه السلام.

المبحث الثاني: في تأريخ الاجتهاد الفقهي عند الشيعة الامامية.

المبحث الثالث: جهود الإمام الباقر عليه السلام في تأسيس الاجهاد الفقهي.

المبحث الأوّل: حياة الإمام الباقر عليه السلام.

ولادته عليه السلام: ولد الإمام عليه السلام سنة ٥٧هـ من الهجرة النبوية الشريفة، في المدينة المنورة، واستشهد فيها في السابع من ذي الحجة عام ١١٤هـ، وقبره بالبقيع من مدينة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

نسبه عليه السلام: من جهة الأب أبوه الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وجده الإمام الحسين سيد الشهداء بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ومن جهة الأم أمه فاطمة بنت الإمام الحسن بن علي عليه السلام، فهو سليل أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، جدا وأبا وأما، فهو هاشمي من هاشميين، وعلوي من علويين[1].

بدأ الإمام عليه السلام. يتلقّى علومه على يد أبيه عليه السلام، ونشأ وترعرع في ظلال ابيه الإمام زين العابدين عليه السلام.، يحيا حياته في الزهد والعبادة والعرفان ويعيش آلامه ومآسيه.

كان الباقر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام بين إخوته خليفة أبيه علي بن الحسين عليه السلام، ووصيه والقائم بالإمامة من بعده، وبرز على جماعتهم بالفضل في العلم والزهد والسؤدد، وكان أنبههم ذكرا، واجلهم في العامة والخاصة، وأعظمهم قدراً، ولم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين، من علم الدين والآثار والسنة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآدب، ما ظهر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.[2].

ويذكر المؤرخون في سيرة الإمام الباقر عليه السلام الشخصية، أنّه كان كثير الذكر، كان يمشي وإنّه ليذكر الله، ويأكل الطعام وإنّه ليذكر الله، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكان يجمع ولده فيأمرهم بالذكر حتى تطلع الشمس، ويأمر مَنْ كان يقرأ منهم بقراءة القرآن، ومَنْ لا يقرأ منهم أمره بالذكر، وكان ظاهر الجود في الخاصة والعامة، مشهور الكرم، معروفاً بالتفضّل والإحسان مع كثرة عياله وتوسّط حاله.

لقد توفرت في شخصية الإمام أبي جعفر عليه السلام. جميع الصفات الكريمة التي أهّلته لزعامة هذه الأمة، حيث تميّز الإمام عليه السلام. بمواهبه الروحية والعقلية العظيمة وفضائله النفسية والأخلاقية السامية، فكان عليه السلام جامعاً للكمالات الانسانية في سيرته وسلوكه، ممّا جعل صورته صورة متميّزة من بين العظماء والمصلحين، فكان أهلاً للإمامة الكبرى بعد أبيه الامام زين العابدين عليه السلام.

عاش الإمام الباقر عليه السلام منذ طفولته جحيم الأحداث المتوالية ضد آل البيت عليهم السلام وشيعتهم، فقد عاصر حكم يزيد، وكان حاضراً في الطف، وشهد ما جرى من أحداث دامية، ومحنة الأسر، وشهد حكم عبد الملك بن مروان، وحكمي الوليد وهشام ابني عبد الملك.

تلك الفترة التي كانت من أصعب الفترات على آل البيت ﷺ وعلى اتباعهم وشيعتهم، فرأى الحصار الذي فرض على أبيه الجليل، ورأى كيف كان الناس يتحرّكون بكامل حرّيتهم؛ إلاّ آل بيت الرسول ﷺ وشيعتهم، فالحرّيّة محظورة عليهم، والناس لا يجرؤون على الاقتراب من بيت الإمام ﷺ، أو سؤاله عن أيّ مسألة، دينيةٍ كانت أم غير ذلك، لأنّ زين العابدين هو ابن الحسين وحفيد علي بن أبي طالب ﷺ.

روى ميمون القداح عن جعفر بن محمد ﷺ، عن ابيه قال: دخلتُ على جابر بن عبد الله فسلمت عليه فردّ عليّ السلام، قال لي: مَنْ أنت؟ ـ وذلك بعد ما كف بصره، فقلتُ: محمد بن علي بن الحسين، قال: يا بني ادن مني، فدنوت منه فقبل يدي، ثمّ أهوى إلى رجلي يقبلها، فتنحيت عنه، ثمّ قال لي: رسول الله يقرؤك السلام، فقلتُ: وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته، فكيف ذاك يا جابر؟

فقال: كنتُ معه ذات يوم فقال لي: يا جابر لعلك تبقى حتى تلقى رجلاً من ولدي يقال له محمد بن علي بن الحسين، يهب الله له النور والحكمة فاقرأه منّي السلام[٣].

وفي رواية أخرى أنّ جابر قال: أنت والله الباقر عن العلم حقّاً...[٤].

وروي عن أبي خالد أنّه قال: قلتُ لعلي بن الحسين ﷺ من الإمام بعدك؟، قال: محمد ابني يبقر العلم بقرا، ومن بعد محمد جعفر...[٥].

ومن هنا لقب الإمام محمد بن علي ﷺ بالباقر، أي المتبحر بالعلم، المستخرج لغوامضه ولبابه واسراره والمحيط بفنونه.

رحل الإمام السجاد ﷺ الى جوار ربه سبحانه سنة ٩٥ هـ، شهيداً مظلوماً، فنهض الإمام الباقر ﷺ بأعباء إمامة المسلمين وقد امتدت امامته تسع عشرة سنة، وقد عانى الإمام الباقر ﷺ من ظلم الأمويين منذ أنْ ولد وحتى استشهد.

لقد عاش الإمام محمد الباقر ﷺ طيلة حياته في المدينة المنورة يفيض من علمه على الأمة المسلمة، ويرعى شؤون الجماعة الصالحة، مقدما لها كلّ مقومات تكاملها واسباب رشدها وسموها، فكان ﷺ مقصد العلماء من كل بلاد العالم الإسلامي، ولم يزر المدينة أحد إلا عرّج على بيته يأخذ من فضائله

وعلومه، وكان يقصده كبار رجالات الفقه الاسلامي، كسفيان الثوري وأبي حنيفة، وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين.

وأشار إلى مثل ذلك أحد كبار الرواة في ذلك العصر، وهو عبد الله بن عطاء المكي[٦]، بقوله: "ما رأيتُ العلماء عند أحد قط، أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام، ولقد رأيت الحكم بن عتيبة - مع جلالته في القوم - بين يديه كأنّه صبي بين يدي معلّمه"[٧].

ورغم تلك الظروف المأساوية استطاع الإمام عليه السلام، أنْ يربي أعداداً كثيرة من الفقهاء والعلماء والمفسرين، حيث كان المسلمون يقصدونه من شتى بقاع العالم الإسلامي، وقد دانوا له بالفضل بشكل لا نظير له، ولم يعش عليه السلام منعزلاً عن احداث الساحة الإسلامية، وخاض الإمام الباقر عليه السلام صراعا مريرا ضد العقائد المنحرفة التي نشطت في عصره، وأسهمَ بشكل ايجابي في توعية الجماهير ضد هذه الانحرافات الفكرية والعقائدية، وتحريك ضمائرها، وسعى لرفع شأنها واحياء كرامتها بالبذل المادي والعطاء المعنوي كآبائه الكرام وأجداده العظام عليهم السلام، ولم يقصر عنهم عبادة وتقوى وصبرا واخلاصاً وجهاداً وكان قدوة شامخة للجيل الذي عاصره ولكل الأجيال التي تلته.

لقد كان عصر الإمام الباقر عليه السلام من أدقّ العصور الإسلامية، وأكثرها حساسيةً، فقد نشأت فيه الكثير من الفرق الإسلاميّة، وتصارعت فيه الأحزاب السياسيّة، كما عمت الناس ردّة قوية إلى الجاهلية وأمراضها، فعادوا إلى الفخر بالآباء والأنساب، ممّا أثار العصبيّات القبلية وعادت الصراعات القبلية إلى الظهور، وهذا ما شجّع عليه حكام بني أميّة، كما انتشرت مظاهر التّرف واللهو والغناء، والثراء الفاحش غير المشروع.

وأمام هذه الانحرافات لم يسع الإمام الباقر عليه السلام إلا التصدّي لهذه الانحرافات، لكي يحفظ لدين جدّه نقاءه وصفاءه، وكان ذلك بأساليب وطرق مختلفة، فأقام مجالس الوعظ والإرشاد، والمناظرة والحوار لأصحاب الفرق المنحرفة، واهتمّ برعاية العلماء الحقيقيين الذين التفوا حوله عليه السلام، نهلوا من صافي علومه ومعارفه في الفقه والعقيدة والتفسير وعلوم الكلام.

يذكر الشيخ المفيد (طيب الله ثراه) في الإرشاد أنّ هشام بن عبد الملك حجَّ، فدخل المسجد الحرام متكئاً على يد سالم مولاه، ومحمد الباقر بن علي بن الحسين ' جالسٌ في المسجد، فقال

لـه سـالم مـولاه: يـا أمـير المؤمنـين، هـذا محمـد بـن عـليّ بـن الحسـين، فقـال لـه هشـام: المفتـونُ بـه أهـلُ العـراق؟، قـال: نعـم...[٨].

إنّ هـذه الروايـة تظهـر لنـا كـم كان المسـلمون يلجـؤون إلى آل البيـت عليهم السلام في قضاياهـم العقائديـة والاجتماعيـة والفقهيـة، وكـم كان الحـكام يحاصرونهـم ويصدّونهـم عـن التحـرّك في تبليـغ مـا أمـر الله تعـالى، فالحـكّام الأمويـون عملـوا عـلى منـع الإنسـان مـن أنْ يفكّـر بحريّـة، وفي نفـس الوقـت منعـوا المفكّـر مـن أنْ يعلـن عـن فكـره بحريّـة، فهـم يحـاصرون الحريّـة مـن جميـع الجهـات، لأنّهـم يخافـون منهـا ومـن الفكـر عندمـا يعـبّر عـن نفسـه في مسـتوى الفكـر والعقيـدة، وقضايـا النـاس في العدالـة الاجتماعيـة وحريـة التعبـير عـن الـرأي.

في أواخـر الحكـم الأمـوي حيـث كان الأمويـون في صراعهـم مـع العباسـيين مشـغولين عـن الإمـام عليه السلام مـن أجـل الحفـاظ عـلى ملكهـم، اندفـع الإمـام الباقـر عليه السلام، ليغنـي السـاحة الإسـلامية بـما وهبـه الله تعـالى مـن علـم، ومـن الواضـح أنّ علمـه عليه السلام هـو مـن علـم رسـول الله صلى الله عليه وآله، فـالله عزّ وجلّ أعطـى رسـوله صلى الله عليه وآله علـم مـا أراد أنْ يبلّغـه ممـا يحتاجـه النـاس، والأئمـة عليهم السلام أخـذوا مـن رسـول الله صلى الله عليه وآله ذلـك كلّـه.

وفي تلـك الفـترة، كان الإمـام الباقـر ومعـه ولـده الإمـام جعفـر الصـادق عليهما السلام، يتحـرّكان في مدرسـة مفتوحـة عـلى الواقـع الإسـلامي كلِّـه، فبالرغـم مـن أنّهـما كانـا يمثّـلان في موقعهـما المميّـز عنوانـاً مذهبيـاً في مـا يعتقـده الكثيـرون مـن المسـلمين بأنّهـما إمامـان منصـوص عليهـما مـن رسـول الله صلى الله عليه وآله، لكنهـما في مدرسـتهما الواسـعة التـي بدأهـا الإمـام الباقـر عليه السلام، كانـا منفتحـين عـلى الواقـع الإسـلامي كلِّـه، فنـرى أنَّ مختلـف العلـماء ممّـن يلتزمـون اجتهـاداً معيّنـاً، سـواء أكان ذلـك في خـطِّ المذهبيّـة الكلاميـة ممـا يختلـف فيـه النـاس في علـم الـكلام، أو المذهبيّـة الفقهيّـة ممـا يتنـوّع فيـه النـاس في مذاهبهـم الفقهيـة، أو في بعـض حركيّـة المفاهيـم في الواقـع الاجتماعـي الـذي كان يعيشـه النـاس، نـرى أنّ كلَّ هـؤلاء العلـماء كانـوا تلامـذة هاتـين المدرسـتين اللتـين تمثـلان مدرسـة الإسـلام الاصيـل.

عـاش الإمـام الباقـر عليه السلام، زهـاء السـنتين مـن فـترة امامتـه التـي امتـدت تسـع عـشرة سـنة، في حكـم الوليـد بـن عبـد الملـك، وسـنتين في عهـد سـليمان بـن عبـد الملـك ـ هـي مـدة حكمـه، ثـمّ تولـى عمـر بـن العزيـز قيـادة الحكـم الأمـوي، كان مـن أعمالـه أنّـه رفـع السـبَ عـن الإمـام امـير المؤمنـين عـلي بـن

أبي طالب عليه السلام من على المنابر، تلك البدعة التي سنّها معاوية بن أبي سفيان، فكان معاوية يختم خطابه بهذه الكلمات: " اللهم إنّ أبا تراب ألحد في دينك، وصدَّ عن سبيلك، فالعنه لعناً وبيلاً، وعذبه عذاباً أليماً "[٩]، ويصر على هذه البدعة إلى أنْ يصل إلى مراده الذي صرّح به، وهو " حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلاً "[١٠].

ولمّا ولي الأمر عمر بن عبد العزيز اسقط اللعن من الخطب[١١]، وجعل مكانه قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون** ﴾[١٢]،

كما أنّه اعاد فدكاً ـ وهي منحة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إلى ابنته سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام ـ إلى الإمام الباقر عليه السلام، معتبراً أمر مصادرتها من لدن الحكام السابقين لا مبرر له.

وبالنظر الى أنّ البيت الأموي لم يألف مهادنة آل بيت الرسالة عليهم السلام، فإنّ عمر بن عبد العزيز كان يواجه الضغط من بني أمية بسبب سياسته الانفتاحية عليهم، ولم يدم حكمه اكثر من سنتين وخمسة أشهر، إذ أنّه مات في ظروف غامضة.

وتولى الحكم بعده يزيد بن عبد الملك المشهور تاريخياً بلهوه وخلاعته وغزله الماجن، وربما كان انشغاله بأعماله الصبيانية ومجونه لم يعطه فرصة للتصدي لمسيرة الإسلام التاريخية التي يقودها الإمام الباقر عليه السلام.

ثمّ جاء هشام بن الملك الذي تولى الحكم الأموي، وعمل على اعادة سياسة معاوية بن ابي سفيان المنحرفة، فكان خشن الطبع شديد البخل فظا جاهلي الطباع، ناقما على المسلمين من غير العرب، فضاعف من حجم الضرائب المالية عليهم، وقد تصدى له الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام من خلال انتفاضته التي كانت صدى لنهضة الإمام الحسين عليه السلام وامتدادا لها، فاستشهد هو وأصحابه، وأمر الطاغية هشام بصلب جثته، ومن ثمّ حرقها وذر رمادها في نهر الفرات.

وأخذ هشام بن عبد الملك يلاحق أنصار الإمام الباقر عليه السلام ومريديه واحداً بعد الآخر، ومن الشواهد على ذلك أنّه أصدر أمراً الى واليه على الكوفة يقضي بقتل جابر بن يزيد الجعفي، الذي كان من كبار العلماء، ومن أبرز تلامذة الإمام الباقر عليه السلام.

ومن باب الحفاظ على جابر أمره الإمام الباقر عليه السلام بالتظاهر بالجنون كطريق وحيد لضمان نجاته من القتل، وأخذ جابر يلعب مع الصبيان متظاهراً بالجنون، فسأل الوالي جلساءه عن جابر فقالوا له: (كَانَ رَجُلاً لَه عِلْمٌ وفَضْلٌ وحَدِيثٌ وحَجَّ فَجُنَّ وهُوَ ذَا فِي الرَّحَبَةِ مَعَ الصِّبْيَانِ عَلَى الْقَصَبِ يَلْعَبُ مَعَهُمْ، قَالَ فَأَشْرَفَ عَلَيْه، فَإِذَا هُوَ مَعَ الصِّبْيَانِ يَلْعَبُ عَلَى الْقَصَبِ، فَقَالَ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي مِنْ قَتْلِه)[١٣]، وبذلك نجا جابر من القتل.

إنّ هشام بن عبد الملك كان واثقاً من أنْ مصدر الوعي الإسلامي الصحيح إنّما هو الإمام الباقر عليه السلام، وأنّ وجوده حراً طليقاً يمنحه مزيداً من الفرص لرفد الحركة الاصلاحية في الأمة، لذا اتجه هشام نحو اعتقال الإمام الباقر عليه السلام، وإبعاده عن عاصمة جده المصطفى صلى الله عليه وآله، وفعلاً حمل الإمام عليه السلام، وابنه الصادق عليه السلام معه الى دمشق بأمر من هشام، لإيقاف تأثيره في الأمة المسلمة، وأودع في أحد سجون الحكم هناك، ثمّ أطلقوا سراحه.

وبعد أدراك السلطة الأموية بأنّ المضايقة لم تحقق غاياتها الدنيئة ضد الإمام الباقر عليه السلام عن النهوض بمهامه الرسالية، فقد قررت السلطة المنحرفة أنْ لا بديل من اغتيال الإمام عليه السلام.

وهكذا دسّ إليه السم بواسطة إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بأمر من هشام بن عبد الملك، فرحل الإمام عليه السلام الى ربه سبحانه شهيداً صابراً محتسباً، وذلك يوم الاثنين السابع من ذي الحجّة سنة ١١٤ هجريّة على المشهور، وعمره الشريف يومذاك سبعة وخمسون عاماً، فدُفن في البقيع بالمدينة خلف أبيه زين العابدين وعمّ أبيه الحسن بن عليّ عليهما السلام.

وفقدت الأمة الإسلامية بذلك إماماً من آل بيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وغصناً شامخاً من هذه الشجرة الطاهرة.

المبحث الثاني: في تاريخ الاجتهاد الفقهي عند الشيعة الإمامية.

والحديث في هذا المبحث يقع في مطلبين:

المطلب الأوّل: في تحديد معنى الاجتهاد الفقهي.

١ - الاجتهاد.

الاجتهاد في اللغة: مصدر من باب الافتعال، وهو مأخوذ من الجَهْدُ أو الجُهْد بمعنى الطاقة والمشقة، وقيل: الجَهْدُ بالفتح المشقة، والجُهْد الوسع. والجهاد والمجاهدة: استفراغ الوسع في مدافعة العدو...، والاجتهاد: بذل الوسع في طلب الأمر، وهو افتعال من الجُهْد: الطاقة...[١٤].

وعليه فالاجتهاد يعني بذل الوسع والطاقة سواء أخذناه من الجَهْد ـ بالفتح ـ، أم من الجُهد ـ بالضم ـ، وذلك لأنّ بذل الطاقة لا يخلو من مشقة، وهما أمران متلازمان[١٥].

وأمّا في الاصطلاح فقد ذكروا له تعريفات كثيرة وبصياغات متعددة، ولكنْ يمكن أنْ تصنّف تلك التعريفات إلى صنفين، وعلى ضوء معيارين:

المعيار الأوّل: هو أخذ الملكة بنظر الاعتبار في التعريف، والمعيار الثاني: هو أخذ الفعلية في الاستنباط بنظر الاعتبار.

فمَنْ لاحظ المعيار الأوّل عرّف الاجتهاد بأنّه: "ملكة يقتدر بها على استنباط الحكم الشرعي الفرعي من الاصل فعلاً أو قوةً قريبة"[١٦]، ومَنْ لاحظ المعيار الثاني عرّفه بأنّه: "استفراغ الوسع في تحصيل الحجّة على الأحكام الشرعية أو تعيين الوظيفة عند عدم الوصول إليها"[١٧].

والذي يبدو أنّ مراعاة المعيار الثاني، وأخذ الجانب الفعلي لعملية الاستنباط في تعريف الاجتهاد هو الاوفق بالقواعد، وذلك للأسباب التالية:

١ـ إنّ وظيفة المجتهد هي البحث عن الحكم الشرعي أو الوظيفة العملية من المصادر المقررة لأجل الوصول إلى ذلك ومعرفته للعمل به، وبالتالي الخروج من عهدة المسؤولية أمام الله تعالى، فمراعاة المعيار الثاني تعني ملاحظة الجانب الوظيفي للاجتهاد، وهو ممارسة عملية الاستنباط.

٢ـ إنّ مراعاة الممارسة الفعلية للاستنباط تستلزم مراعاة جانب الملكة من دون العكس، باعتبار أنّ الاستنباط لا يكون إلا عن قدرة علمية عالية على استنباط الحكم الشرعي أو الوظيفة العملية بعد مراجعة الادلة، فلا يرجع الفقيه إلى النصّ الشرعي الذي هو الدليل إلا بعد أنْ يفرغ من إثبات حجّية الدليل وثبوت صحّة الاستدلال به، وعنده قدرة على تطبيق القواعد على مواردها.

٣ـ إنّ تعريف الاجتهاد بأنّه: استفراغ الوسع...، لم يبتعد كثيراً عن المعنى اللغوي لكلمة (الاجتهاد)، فالإضافة الجديدة هي تطبيق ذلك المعنى على خصوص الشرعيات، ولا يضيف معنى جديداً إلى المعنى اللغوي للاجتهاد.

٤ـ إنّ ملاحظة المعيار الأوّل لا يلازم الاستنباط الفعلي، مع أنّ عناوين الادلة التي عنونت المجتهد في المصطلح الفقهي والاصولي بأنّه: (الفقيه، والراوي، والعارف بالأحكام، والناظر في الحلال والحرام) تقتضي أنْ يكون المجتهد مستنبطاً بالفعل، لا مجرد الواجد للملكة وإنْ لم يستنبط، والاجتهاد بمعنى الاستنباط بالفعل هو الذي يكون المتصف به موضوعاً لولاية الافتاء والقضاء، كما أنّه بهذه الصفة موضوع لحرمة التقليد لغيره في الأحكام الشرعية، وأمّا مجرد وجدان الملكة فالظاهر أنّه ليس موضوعاً لهذه الأحكام[١٨].

٥ـ إنّ تعريف الاجتهاد بالملكة أمر حادث، حيث لا وجود لهذا التعبير في كلمات الاصوليين والفقهاء قبل الشيخ البهائي(ت: ١٠٣٠ه)، فلا وجود لكلمة (الملكة) في التعريفات التي ذكرت من الشيخ المفيد(ت: ٤١٣هـ)[١٩]، إلى السيد المرتضى(ت: ٤٣٦هـ)[٢٠]، إلى الشيخ الطوسي(ت: ٤٦٠هـ)[٢١]، مروراً بكلمات المحقق الحلّي(ت: ٦٧٦ه)، والعلامة الحلّي(ت: ٧٢٦ه)، ولم يأخذ (الملكة) في تعريف الاجتهاد بعد الشيخ البهائي إلا بعض الاصوليين[٢٢].

وعلى ضوء هذه النقاط يظهر أنّ تعريف الاجتهاد على أساس مراعاة جانب الاستنباط الفعلي يشتمل على الجانب المعرفي والوظيفي معاً، ولذلك تجد أنّ المحقق الاصفهاني(ت: ١٣٦١هـ)، ينفي كون الاجتهاد بمعنى الملكة، ويعتبر أنّ الاستنباط لا يكون إلا عن ملكة، حيث قال: "هو استنباط الحكم عن دليله، وهو لا يكون إلا عن ملكة، فالمجتهد هو المستنبط عن ملكة، وهو موضوع الأحكام، باعتبار انطباق الفقيه والعارف بالأحكام عليه، لا أنّه من الملكات واستفادة الحكم من آثارها، كما في ملكة العدالة والسخاوة والشجاعة"[٢٣].

نعم، ينبغي أنْ يكون استفراغ الوسع منصبّاً على تحصيل الحكم الشرعي أو الوظيفة العملية، فإنّ هذا هو وظيفة المجتهد والفقيه، لا استفراغ الوسع لأجل تحصيل الحجّة على الحكم الشرعي أو الوظيفة، لأنّ هذا يقتضي أنْ يكون الحكم معلوماً مسبقاً لدى المجتهد، وليس عليه

إلا تحصيل الدليل الذي يثبت شرعية ومشروعية العمل به[٢٤].

وينبغي أيضاً أنْ يؤخذ في التعريف قيد (القدرة العلمية)، لرفع توهم تحقق الاجتهاد في حال ممارسة ومزاولة عملية الاستنباط حتى في حال لم تكن هناك قدرة علمية على استنباط الحكم الشرعي أو الوظيفة العملية، ولم تكن هناك معرفة بأدلة الأحكام الشرعية والعقلية، والحال أنّ الاعتراف بكون الاجتهاد درجة علمية يفرض في اعتبار تحققه وترتب الآثار الشرعية تحقق القدرة العلمية الناشئة من دراسة وتحقيق قواعد علم اصول الفقه إلى حدٍّ تجعل الفقيه قادراً على تطبيق القواعد على مواردها ورد الفروع إلى اصولها.

وعلى ضوء ذلك يكون المناسب في تعريف الاجتهاد بأنّه: استفراغ الوسع في تحصيل الأحكام الشرعية أو تعيين الوظيفة عند عدم الوصول إليها عن قدرة علمية.

وعلى أية حال فإنّ الاجتهاد بهذا المعنى أشار إليه المحقق الحلّي (ت: ٦٧٦هـ)، حيث قال: "المسألة الأولى: في حقيقة الاجتهاد... وهو في عرف الفقهاء: بذل الجهد في استخراج الأحكام الشرعية. وبهذا الاعتبار يكون استخراج الأحكام من ادلة الشرع اجتهاداً، لأنّها تبنى على اعتبارات نظرية ليست مستفادة من ظواهر النصوص في الأكثر، وسواء أكان ذلك الدليل قياساً أم غيره، فيكون القياس على هذا التقرير أحد أقسام الاجتهاد.

فإنْ قيل: يلزم على هذا أنْ يكون الإمامية من أهل الاجتهاد.

قلنا: الأمر كذلك، لكنْ فيه إيهام من حيث إنّ القياس من جملة الاجتهاد، فإذا استثني القياس كنّا من أهل الاجتهاد في تحصيل الأحكام بالطرق النظرية التي ليس أحدها القياس"[٢٥].

وفي هذا النصّ يكشف المحقق الحلّي عن حقيقة كانت سائدة آنذاك، وهي أنّ الاجتهاد في مدارس اصولية كبيرة عند أهل السنة على رأسها مدرسة أبي حنيفة كان يعني التفكير الشخصي للفقيه، فالفقيه إذا أراد أنْ يستنبط حكماً شرعياً ولم يجد نصّاً يدلّ عليه في الكتاب أو السنة يرجع إلى تفكيره الخاصّ، ويستلهمه ويبني على ما يرجّح في فكره الشخصي من تشريع، فالاجتهاد بهذا المعنى يُعدُّ من مصادر التشريع[٢٦]، ويعبّر عن ذلك بالاجتهاد بالرأي[٢٧].

والروايات المأثورة عن أئمة آل البيت عليهم السلام التي تذم الاجتهاد تريد به ذلك المبدأ الفقهي،

الذي يتخذ من التفكير الشخصي مصدراً من مصادر الحكم[٢٨]، وبذلك اكتسبت الكلمة لوناً مقيتاً وطابعاً من الكراهية في الذهنية الفقهية الإمامية، فكان فقهاء الشيعة الإمامية يتحفظون من استعمال هذه الكلمة وينفرون منها؛ بسبب معارضتهم لذلك المبدأ وإيمانهم ببطلانه[٢٩]، واستمر الحال على ذلك منذ عصر الأئمة عليهم السلام إلى القرن السابع تقريباً[٣٠].

٢- الفقه:

وهو بكسر الفاء: العلم بالشيء، والفهم له، والفطنة[٣١].

وفي الاصطلاح: هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعيّة عَنْ أدلّتها التفصيلية[٣٢].

توضيح التعريف:

أ) إنَّ تقييد العلم بالأحكام يُخرج العلم بالذوات، مثل العلم بالنباتات والجمادات والحيوانات.

ب) والتقييد بالشَّرعيّة يُخرج العلم بالأحكام غَير الشَّرعيّة، كالأحكام النحوية والتاريخية والطبيعية وغيرها مِنْ الأحكام المعلومة للإنسان ولم تكن مأخوذة مِنْ الشارع المُقدّس.

ج) وتقييد الشَّرعيّة بالفرعيّة يُخرج مِنْ التعريف العلم بالأحكام الشَّرعيّة الأُصولية، كالعلم بأصول الدين أو العلم بأصول الفقه، أو غيرهما.

د) والتقييد بـ(عَنْ أدلّتها) يُخرج علم الله تعالى وعلم النبي صلى الله عليه وآله بالأحكام الشَّرعيّة الفرعيّ؛ لأنَّ علمهما بالأحكام لمْ يكن عَنْ الدَّليل؛ لأنَّ علم الله تعالى عين ذاته المُقدّسة، وعلم الرسول مُستفاد مِنْ الوحي، ولذا لا يُسمّى الله ولا النبي فقيهاً في الاصطلاح.

هـ) وأخيراً قيّد التعريف الأدلّة بكونها تفصيلية؛ لإخراج علم المُقلّد فالمُقلّد يعلم بالأحكام الشَّرعيّة ليعمل بها، ودليله على كُلّ مسألة هُو دليل إجمالي لا تفصيلي وهو: إنَّ هَذا الحكم أفتى به مُقلّدو المجتهد العادل، وَكُلّ ما أفتى به مقلّدو المجتهد العادل فهو حجّة في حقّي.

بينما نجد الفقيه يلتمس لكلِّ مسألة دليلها الخاص مِنْ الكتاب أو السنَّة أو غيرهما ممّا يصلح للاستدلال، فأدلّته على الأحكام بهذا الاعتبار أدلّة تفصيليّة.

وبعد اتضاح معنى الاجتهاد والفقه يقال: إنّ الاجتهاد يُعدُّ منبع الإبداع وعنصر التجديد

وديناميـة الحركـة؛ إذ الاجتهـاد هـو الـذي كشـف سر عظمـة الإسـلام وثباتـه وخلـوده وتكاملـه ومرونتـه، فـإنّ فلسـفة الاجتهـاد هـو أنْ يسـتوعب الفقـه الإسـلامي متغـيرات الحيـاة، ويواكـب تطوراتهـا ويلاحـق الزمـن المتجـدد ومـا يفـرزه مـن قضايـا ومشـكلات فكريـة وسياسـية واجتماعيـة وتربويـة وغيرهـا، يقنـن هـذه المتغـيرات والتطـورات والقضايـا تشريعيـاً وينظمهـا فقهيـاً، حتـى يتمثـل فيهـا مقاصـد الإسـلام وغايتـه(٣٣).

المطلب الثاني: تأريخ الاجتهاد عند الشيعة الإمامية.

مِـنْ المؤكَّـد أنَّ فكـرة بعنـوان الاجتهـاد أو الكشـف عَـنْ الحكـم الشرعـي لم تـراود أذهـان المُسْـلمين الأوائـل، سـواء الّذيـن عاشـوا في زمـن حضـور النبـيّ الأكـرم صلى الله عليه وآله والحقبـة التـي أعقبـت ارتحالـه الشَّريـف (بالنسـبة لأهـل السـنّة)، أو المُسْـلمين الذيـن كانـوا في عـصر حضـور الأئمـة المعصومـين (بالنّسـبة للشّـيعة)؛ لأنّـه متـى مـا واجهتهـم مُشـكلة كانـوا يسـألون النبـي صلى الله عليه وآله بشـخصه أو الإمـام المعصـوم عليه السلام، أو الأصحـاب العارفـين الذيـن لازمـوه؛ وكانـوا يحصلـون عـلى الجـواب ولم يكونـوا بحاجـة إلى الاسـتنباط وكشـف الحكـم بالطّـرق الاجتهاديـة.

إضافـة إلى ذلـك، لمْ تظهـر مشـاكل مُحـدّدة في هـذهِ الحقبـة؛ بسـبب عـدم اتِّسـاع البـلاد الإسّـلامية وسـهولة المسـائل التـي ابتـلي بهـا المسـلمون لوجـود أحـكام معروفـة ومنصـوص عليهـا، لكـن تدريجيـاً مـع توسّـع المجتمـع الإسـلامي وتطـوره، وطـرح مسـائل مُعقدة لا سـابقة لهـا، دفـع الأصحـاب والمُجتهديـن إلى المزيـد مِـنْ البحـث والتّدبـر في القُـرآن الكريـم والنصـوص الشّـريفة للإجابـة على المسـائل الجديدة.

ومـع مُـضي أكثـر مِـنْ مائـة عـام عـلى زمـان النبـي صلى الله عليه وآله، شـعر الفُقهـاء الّذيـن كانـوا يسـتخرجون الأحـكام الفقهيـة مِـنْ المتـون الدينيـة، بالحاجـة إلى ضرورة تدويـن قواعـد كُلِّيـة وعنـاصر مشـتركة؛ لأنَّهـم أصبحـوا أكثـر بُعـداً عَـنْ عـصر التّشريـع وفقـدان القرائـن الحاليـة وأحيانـاً القرائـن المقاليّـة لـكلام الشّـارع، ليتمكّنـوا بوسـاطتها مِـنْ اسـتنباط أحـكام المسـائل الجديـدة، وَمِـنْ الواضـح أنَّـه في المراحـل الأُولى كان الصحابـة وعُلـماء المُسْـلمين يسـتنبطون الأحـكام الفقهيـة بيـسر وسـهولة واضحـة، وكان يلزمهـم فقـط مجموعـة مِـنْ القواعـد البسـيطة، لكـنْ مـع مـرور الزّمـن ومـع تشـعب المسـائل المُسـتجدة أكثـر فأكثـر احتـاج الفُقهـاء إلى تأسـيس المزيـد مِـنْ القواعـد المُتشـعّبة.

ويمكن القول: إنَّ العُلماء وَمُنْذُ بداية اشتغالهم بالبحث عَنْ الأحكام الفقهية، استفادوا مِنْ عناصر وقواعد كُلِّية، حيث كانت بسيطة ومُتواضعة لسهولة العمل الفقهي بداية الأمر، وعلى أثر ازدياد التّعقيد في العمل الاستنباطي وتطور الفقه، أصبحت تلك القواعد أكثر نضجاً، واتّخذت منحى أكثر عُمقاً واتّساعاً، وهذهِ النقطة تُشير بوضوح إلى تقارن مسار تطوّر علمي الفقه والأُصول معاً[٣٤].

وينبغي القول: إنَّه لابدَّ لأُصول الفقه ـ باعتباره مُقدّمة للفقه ـ مِنْ أنْ يتكامل في ظلّ تنامي علم الفقه أيضاً[٣٥].

وما قِيلَ ـ حول ظروف وكيفية نشأة علم الأُصول ـ يصدق على أُصول الفقه السّني والشّيعي على السّواء، وليسَ صحيحاً أنَّ الشِّيعة لمْ يكونوا مُحتاجين إلى الاجتهاد لوجود الأئمة المعصومين عليهم السلام بينهم، وإنْ كانت حاجتهم إليه أقل ممّا هي عليه عِنْدَ أهل السُّنة؛ بلْ اضطروا إلى الأخذ بالاجتهاد للكشف عَنْ الأحكام الشَّرعيّة والاستناد إلى القواعد العامَّة لوجود مجموعة ظروف وعوامل مُختلفة؛ منها:

العامل الأوّل: لمْ يكن أصحاب الأئمة عليهم السلام في جميع الأحوال على اتّصال دائم بالأئمة، خاصَّة الأصحاب الّذين عاشوا في مُدن نائية كشيعة خراسان واليمن وغيرهم، فقدْ تعذّر عليهم الحضور عِنْدَ أئمتهم وطرح ما يعترضهم مِنْ أسئلة؛ وبالرغم مِنْ أنَّهم كانوا يكتبون رسائلهم في موارد كثيرة ويرسلونها مع الحجّاج، وتأتيهم الأجوبة، لكن لمْ يكن أمامهم بدَ في مجالات أُخرى سوى العمل بالاجتهاد باتّباع الأُصول الكليّة التي تعلموها مِنْ الأئمة عليهم السلام حتّى أنَّه كان على بعض الأصحاب الّذين رافقوا الإمام عليه السلام أنْ يجتهدوا في بعض الموارد نظراً للإقامة الجبريّة التي فُرضت على الإمام عليه السلام مِنْ قبل السُّلطات الحاكمة.

العامل الثاني: إنّ الأئمة عليهم السلام أنفسهم شجّعوا أصحابهم مِنْ ذوي الكفاءة والنباهة على الاجتهاد في الأحكام والافتاء؛ فكان الأئمة عليهم السلام يأمرون فُضلاء أصحابهم وتلامذتهم بالتصدّي للفُتيا واستنباط الأحكام، كأمر الإمام الصادق عليه السلام أبان بن تغلب أنْ يجلس في المجلس ويُفتي الناس حتّى قال عليه السلام: "اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس فإنّي أحبّ أنْ يُرى في شيعتي مثلك"[٣٦].

وفي موضع آخر يسأل الإمام عليه السلام معاذ بن مُسْلِم، حيث جاء في الرّواية أنّه عليه السلام قال: "بلغني أنَّكَ تقعد في الجامع فتفتي النّاس" قلت: نعم وقدْ أردت أنْ أسألك عَنْ ذلك قبل أنْ أخرج، إلى أنْ قال الإمام عليه السلام: "اصنع كذا فإنّي كذا أصنع"[٣٧].

مِنْ جهة أُخرى، كان الأئمة عليهم السلام يوصّون أتباعهم بأخذ أحكامهم مِنْ هؤلاء الأشخاص، فكانوا يأمرون الناس بالرجوع إلى الفُقهاء العالمين بالفُتيا، فقدْ روى عبد العزيز بن المُهتدي عَنْ الإمام الرِضا عليه السلام قال: سألته فقُلت: إنّي لا ألقاك في كُلّ وقت فعمّن آخذ معالم ديني؟ فقال عليه السلام: "خُذْ عَنْ يونس بن عبد الرحمن"[٣٨]، ويُونس بن عبدالرحمن كان مِنْ فُقهاء أصحاب الإمام عليه السلام[٣٩].

هَذا وقدْ أرجع الأئمة عليهم السلام الناس بالتقليد في الأحكام إلى الفُقهاء العدول، ففي رواية الطبرسي( ) في الاحتجاج بسنده عَنْ أبي مُحَمَّد الحسن العسكري عليه السلام: "فأمّا مَنْ كان مِنْ الفُقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مُخالفاً على هواه مُطيعاً لأمر مولاه فللعوام أنْ يُقلّدوه"[٤٠].

العامل الثالث: أجاز الأئمة عليهم السلام الاجتهاد الصّحيح لأصحابهم، حيث دعوا عليهم السلام العالِمين العارفين بطريقة الاستنباط إلى تفريع الفروع عَنْ أصولها، وتطبيق القواعد الكُلِّية على مصاديقها، وهي مُهمّة الفقيه المُجتهد، يقول الإمام الصادق عليه السلام: "إنَّما علينا أنْ نُلقي إليكم الأُصول وعليكم أنْ تُفرّعوا"[٤١]، وفي كتاب أحمد بن مُحَمَّد بن أبي نصر عَنْ الرضا عليه السلام قال: "علينا إلقاء الأُصول وعليكم التفريع"[٤٢] وقدْ عرفت أنَّ الأصل هُو القاعدة التي يُبنى عليها غيرها.

ولعلَّ مِنْ هُنا قام الفُضلاء مِنْ تلامذة الأئمة عليهم السلام بتأليف المصنّفات في أُصول الفقه ومبادئ الاستنباط.

منهم: هشام بن الحكم المُتوفى عام ١٩٩هـ شيخ المُتكلمين، حيث صنّف في علم الأُصول كتاب "الألفاظ ومباحثها"، وهو مِنْ أهم مباحث علم الأُصول[٤٣].

ومنهم: يونس بن عبدالرحمن المُتوفى عام٢٠٨هـ صنَّف كتاب "اختلاف الحديث ومسائله" وهو مبحث تعارض الحديثين وترجيح الراجح منهما على الآخر، وهو أيضاً مِنْ أهم مباحث أُصول الفقه[٤٤].

ومنهم: الحسن بن موسى النوبختي مِنْ عُلماء القرن الثَّالث، صنَّف في أصول الفقه كتابين هُما: "خبر الواحد والعمل به" وكتاب "الخصوص والعُموم"[٤٥].

العامل الرابع: الرّوايات المنقولة عَنْ الأئمة عليهم السلام فيما يتعلّق بعلاج الأخبار المُتعارضة، وحُجيّة

خبر الثِّقة، وأصالة البراءة، وبطلان القياس والاجتهاد بالرأي، وحجية الاستصحاب ومسائل أصوليّة أُخرى، التي جمعت ودوّنت فيما بَعْدَ على يد ثلّة مِنْ العُلماء(٤٦)؛ وفي كُلّ ذلك دلالة واضحة على جواز الاجتهاد مُطلقاً.

والحاصل: إنَّ حركة التّدوين في الأُصول لدى عُلماء الفريقين قدْ سارت بشكل متوازٍ - بلْ الشّيعة سبقوا أهل السنّة في ذلك، لكن عُلماء السنّة كانوا أسبق مِنْ غيرهم مِنْ حيث المُتابعة والاستمرار، والاهتمام بتطوير هَذا العلم، بغية الإفادة منه في الاستنباط؛ لأسباب منها:

أوّلاً: فقدوا بوفاة النبيّ الأكرم ﷺ أحد أهمّ مصادر الأحكام التي هي السنة النبوية، بينما كانت الشيعة ما تزال تعيش عصر النّص.

وثانياً: أنَّ ما وصل إليهم بطريق صحيح عَنْ النّبي ﷺ لمْ يكن كافياً لرفع كُلّ حاجاتهم الدّينية(٤٧).

المبحث الثالث: جهود الإمام عليه السلام في تأسيس الاجتهاد الفقهي.

إنّ الحديث عن تأسيس الاجتهاد الفقهي يعني الحديث عن الفقه واصوله، فإنّ الاجتهاد كما تقدم معناه هو (**استفراغ الوسع في تحصيل الأحكام الشرعية أو تعيين الوظيفة عند عدم الوصول إليها عن قدرة علمية**)، ويعتبر علم اصول الفقه من أبرز العلوم التي يتوقف عليها استنباط الحكم الشرعي، وعليه فالحديث عن الاجتهاد الفقهي يعني الحديث عن علم اصول الفقه، وأيضاً يرافقه الحديث عن التشريعات التي هي عبارة عن الرواية الصادرة عن المعصومين عليهم السلام.

واستيفاء البحث في هذا الموضوع، وتسليط الضوء على جهود الإمام الباقر عليه السلام في مجال الفقه واصوله، ويقع الحديث أوّلاً عن اصول الفقه باعتباره مقدّمة لعلم الفقه، والمقدّمة سابقة على ذي المقدّمة طبعاً فناسب ذلك تقديمها وضعاً، وعليه فالحديث يقع في مطلبين:

المطلب الأوّل: جهود الإمام عليه السلام في مجال اصول الفقه.

إنَّ علم أصول الفقه مِنْ العُلوم التي واكبت نشأة الشريعة مُنْذُ العُصور الأُولى، وقدْ حذَّر النبي ﷺ غَير المُجتهدين مِنْ الفُتيا بغير علم، فقال: "مَنْ أفتى الناس بغير علم وهو لا يعلم الناسخ والمنسوخ والمُحكم مِنْ المُتشابه فقدْ هلك وأهلك"(٤٨)، وتدلُّ هذهِ الرواية على أنَّه لو

كان يعلم بموازين الفُتيا فلا بأس عليه، وَمِنْ موازينها هُو العلم بالناسخ والمنسوخ والمُحكم والمُتشابه، وهي مِنْ قواعد علم الأصول، وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: "أنَّ في أيدي الناس حقّاً وباطلاً، وصُدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعامّاً وخاصّاً، ومُحكماً ومُتشابهاً"(٤٩).

ولابدَّ للعالِم بالفُتيا والقضاء أنْ يُحيط علماً بهذهِ القواعد مِنْ حيث مداليلها، وَمِنْ حيث تطبيقها على مواردها.

قال السيد حسن الصدر: إن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، هما أوّل مَنْ أسّس هذا العلم، حيث قال: ما نصّه: "اعلم أنَّ أوّل مَنْ فتح بابه وفتق مسائله هُو باقر العُلوم الإمام أبو جعفر محمَّد بن علي الباقر عليه السلام، وبعده ابنه أبو عبدالله الصّادق عليه السلام، وقدْ أمليا فيه على جماعة مِنْ تلامذتهما قواعده ومسائله...، وأوّل مَنْ افرد بعض مباحثه بالتصنيف هشام بن الحكم..."(٥٠).

وقال( ) ـ في سياق هَذا الموضوع ـ ردّاً على جلال الدِّين السِّيوطي القائل بأنَّ الشَّافعي أوَّل مُصنِّف في الأُصول: "هَذا القول غَير صحيح؛ لأنَّه إنْ أراد مِنْ التصنيف التّأسيسَ والابتكار، فكلامه باطل؛ لأنَّ الباقرين عليهما السلام هُما مُؤسسا علم الأُصول؛ وإنْ كان مُراده أنَّ الشَّافعي أوَّل مِنْ وضع مُصنّفاً في أُصول الفقه، فكلامه أيضاً غَير مُستقيم؛ لأنَّ أوَّل مِنْ دوّن وألّف في أُصول الفقه هُو هشام بن الحكم المُتكلِّم المعروف"(٥١).

بهذا البيان يتّضح مِنْ نظريَّة السّيِّد حسن الصَّدر ما يلي:

أوَّلاً: هُناك فرق بين تأسيس العلم وبين تدوينه.

وثانياً: أنَّ الإمامين الباقرين عليهما السلام مُؤسسا علم الأُصول، وهشام بن الحكم ـ مِنْ أصحاب الإمام الصادق عليه السلام أوَّل مِنْ كتب فيه.

هذا، ولكنْ ذكر الشيخ أبو زُهرة أنّ "الإمامية يدّعون أنَّ أوّل مَنْ دوّن علم الأصول وضبطه الإمام محمد الباقر بن زين العابدين، وجاء من بعده ابنه الإمام ابو عبدالله جعفر الصادق"(٥٢)، ثم يأتي على نقد هذهِ النَّظريّة.

ولكنْ هذه النسبة محلّ تأمّل؛ إذ لم يذكر أحد من الشيعة الإمامية أنّ الإمامين الصادقين عليهما السلام هُما أوّل مَنْ دوّن في علم الأُصول، بلْ صرّح السيد حسن الصدر ( ) ـ كما نقلنا نصّ عبارته ـ

أنّهما عليهما السلام أوّل مَنْ أسّس هذا العلم.

وعلى أية حال كانت للإمام الباقر عليه السلام جهود واضحة في مجال تأسيس قواعد اصول الفقه، وقد حفلت كتب الحديث بالأخبار التي أضحت دليلاً على قواعد علم الأصول، كقاعدة الاستصحاب، والترجيح عند تعارض الأخبار، والتعادل، والتجاوز، والفراغ، والبراءة الشرعية وغيرها، وانتقد الإمام الباقر بعض المباني الأصولية التي اعتمدها بعض أئمة الفقه كمسألة القياس والاستحسان.

وإنّما أدلى الإمام بتلك القواعد إلى طلاّبه، كي يخلق فيهم القدرة العلمية على الاستقراء والاستنتاج، فيزود من يراه أهلاً بالمزيد ويأمره بالتفريع على القاعدة، والتطبيق على مواردها.

وفي هذا المجال نذكر من تلك الأصول والقواعد العامة:

١- ما ورد عنه عليه السلام في قواعد الترجيح بين الادلة.

إنّ قواعد الترجيح بين الادلة تعين على التمييز بين الصحيح وغيره في حال تعارض الأخبار، وذلك بالردّ إلى كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله، فلا يؤخذ إلا بما وافق كتاب الله أو سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي هذا المجال وردت عدّة روايات عن الإمام الباقر عليه السلام، نذكر منها:

أ- ما رواه جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: (انظروا أمرنا وما جاءكم عنّا، فإنْ وجدتموه للقرآن موافقاً فخذوا به، وإنْ لم تجدوه موافقاً فردّوه، وإنْ أشتبه الأمر عليكم فقفوا عنده، وردّوه إلينا، حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا)[٥٣].

ب- ما روي عن أبي جعفر عليه السلام من أنّه قال: (إذا جاءكم عنّا حديث، فوجدتم عليه شاهداً، أو شاهدين من كتاب الله فخذوا به، وإلا فقفوا عنده، ثمّ ردّوه إلينا، حتى يستبين لكم) [٥٤]، وما روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: "لا تصدّق علينا إلاّ ما وافق كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله"[٥٥].

ج- ما روي عنه عليه السلام في قواعد الترجيح الأخرى، وهي الأخذ بالمشهور، والنظر إلى حال الراوي من حيث الوثاقة والعدالة، حيث روى زرارة بن أعين قال: "سألتُ الباقر عليه السلام فقلتُ: جعلتُ فداك، يأتي عنكم الخبران أو الحديثان المتعارضان فبأيهما آخذ؟، فقال: يا زرارة، خذ بما اشتهر بين أصحابك، ودع الشاذ النادر. فقلتُ: يا سيدي، إنّهما معا مشهوران مرويان مأثوران

عنكم؟، فقال عليه السلام: خذ بقول أعدلهما عندك، وأوثقهما في نفسك"[٥٦].

د- ولهذه الرواية تتمة فيها إشارة إلى قاعدة من قواعد الترجيح الاخرى، وهي الأخذ بما خالف العامة، حيث قال زرارة له عليه السلام: (فقلتُ: إنّهما معاً عدلان مرضيان موثقان، فقال عليه السلام: أنظر ما وافق منهما مذهب العامة فاتركه، وخذ بما خالفهم، قلتُ: ربما كانا معا موافقين لهم، أو مخالفين، فكيف اصنع؟، فقال عليه السلام: اذن فخذ بما فيه الحائطة لدينك، واترك ما خالف الاحتياط...)[٥٧].

٢- ما ورد عنه عليه السلام في قاعدة الاستصحاب، حيث جاء في صحيحة زرارة عن الباقر عليه السلام، (قلتُ: فإنْ ظننتُ أنّه قد أصابه، ولم اتيقن ذلك، فنظرتُ فلم أرَ شيئاً، ثمّ صليتُ فرأيتُ فيه؟، قال: تغسله ولا تعيد الصلاة، قلتُ: لِمَ ذلك؟، قال: لأنّك كنتَ على يقينٍ من طهارتك، ثمّ شككتَ، فليس ينبغي لك أنْ تنقض اليقين بالشكّ أبداً،... قلتُ: إنْ رأيته في ثوبي وأنا في الصلاة؟، قال: تنقض الصلاة وتعيد إذا شككت في موضعٍ منه ثمّ رأيته، وإنْ لم تشكّ ثمّ رأيته رطباً قطعت الصلاة وغسلته، ثمّ بنيت على الصلاة، لأنّك لا تدري لعلّه شيء أُوقع عليك، فليس ينبغي أنْ تنقض اليقين بالشك)[٥٨].

٣- ما ورد عنه عليه السلام في قاعدة الفراغ[٥٩]، لحديث محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام، قال: "كلّما شككتَ فيه ممّا قد مضى فأمضه كما هو"[٦٠]، ولقوله عليه السلام: "كلّ شيءٍ شكّ فيه ممّا قد جاوزه ودخل في غيره فليمضِ عليه"[٦١].

المطلب الثاني: جهود الإمام عليه السلام في علم الفقه والتشريع.

إنّ الإمام الباقر عليه السلام يشكل مدرسة قد تنوّعت مسارب العلم فيها، وتعدّدت آفاقها المعرفية، واتّسعت اتّساعاً هائلاً، فكانت ضروباً وألواناً شتّى من العلم، وقد بلغت علوم الشريعة فيها ـ من فقه وتفسير وحديث وكلام ـ ذروتها في تلك المدرسة الشريفة.

وبفضل انفتاح مدرسة الإمام عليه السلام وعدم انغلاقها اتسع نطاق روّاد مدرسته، فنرى صنوفاً شتّى من تلامذتها، فلم يكونوا كلهم أرباب فكر واحد أو اعتقاد واحد، حيث كانت مدرسة الإمام عليه السلام تمثل في واقعها الإسلام المحمدي الاصيل، تلك المدرسة استطاعت أنْ تجمع اولئك التلاميذ في صعيد واحد، بعد أنْ جمعهم الانتماء إلى الإسلام، وفرّقتهم مدارس المسلمين، الأمر

الـذي شـهدت عليـه بـكل وضـوح سـيرة الإمـام ﷺ وتاريخـه.

لقـد كان للإمـام الباقـر ﷺ دور كبـير في نـشر الفقـه، وأعـاد لـه نضارتـه، وحافـظ عـلى أصولـه مـن الضيـاع، في وقـت درج فيـه النـاس عـلى إهمـال شـؤون الديـن، والجهـل بمسـائل الحـلال والحـرام.

قـال ابـن أبي الحديـد المعتـزلي: (كان محمـد بـن عـلي بـن الحسـين سـيد فقهـاء الحجـاز، ومنـه ومـن ابنـه جعفـر تعلـم النـاس الفقـه)[٦٢].

وقـال الشـيخ المفيـد: (كتـب عنـه النـاس المغـازي وأثـوار عنـه السـنن، واعتمـدوا عليـه في مناسـك الحـجّ التـي رواهـا عـن رسـول الله، وكتبـوا عنـه تفسـير القـرآن، وروت عنه الخاصّـة والعامـة الأخبار، وناظـر مَـنْ كان يـرد عليـه مـن أهـل الآراء، وحفـظ عنـه النـاس كثـيراً مـن علـم الـكلام)[٦٣].

وعـدّ باقـر العلـم مـن قبل أعلام أهل السـنة كالنسـائي وغيره في فقهـاء التابعين من أهـل المدينة [٦٤]، واتفـق الحفاظ على الاحتجاج بـأبي جعفر[٦٥].

وإذا أردنا أنْ نتحدث عن انجازاته ﷺ في هذا المجال، فيمكن بلورتها من خلال المحاور التالية:

المحـور الأوّل: لقـد تـرك الإمـام الباقـر ﷺ تراثـاً ضخـماً يغطـي معظـم أبـواب الفقـه والتشريـع، تمثـل ذلـك بالروايـات التـي حفلـت بهـا موسـوعات الفقـه والحديـث الإماميـة، وكانـت ولا تـزال رافـداً ومعينـاً للفقهـاء.

المحور الثاني: الدرس والتدريس.

كان للإمـام ﷺ حلقـة درس في بيتـه وفي مسـجد مكـة والمدينـة، سـيما في موسـم الحـجّ، وكان درسـه ﷺ بمثابـة مدرسـة سـيارة في افتـاء النـاس وحـلّ المسـائل المعضلـة، وكان يفـد عليـه العلـماء مـن جميـع المذاهـب، فيسـألونه عـن مسـائل في الحـلال والحـرام، وكان ﷺ يجيبهـم، ومنهـم: نافـع بـن الأزرق[٦٦]، والحكـم بـن عتيبـة[٦٧]، والحسـن الزيـات[٦٨]، وقتـادة بـن دعامـة السـدوسي[٦٩]، ومـن الوفـود وفـد مـن أهـل خراسـان[٧٠]، ووفـد مـن أهـل فلسـطين[٧١].

وكان يجلـس حولـه ﷺ الكثـير مـن النـاس، فـلا يـبرح مكانـه حتـى يفتـي في ألـف مسـألة، وهـو في السـاعة الأخـيرة مـن يومـه، قالـت حبابـة الوالبيـة: رأيتـه بمكـة أصيـلاً[٧٢] في الملتـزم، أو بـين البـاب والحجـر، عـلى صعـدة مـن الأرض، وقـد حـزم وسـطه عـلى المئـزر بعمامـة خـز، والغزالـة[٧٣] تخـال على

قلل الجبال كالعمائم على قمم الرجال، وقد صاعد كفه وطرفه نحو السماء ويدعو، فلما انثال الناس عليه يستفتونه عن المعضلات، ويستفتحون أبواب المشكلات، فلم يرم[٧٤] حتى أفتاهم في ألف مسألة، ثمّ نهض يريد رحله[٧٥].

المحور الثالث: ورد في حديث الإمام عليه السلام جملة من الإرشادات في مجال الفقه والتشريع.

منها: إنّ على الفقيه أنْ يعتمد الكتاب والسنة فيما يصدر من أحكام، ولا يعتمد رأيه واستحسانه، حيث جاء عن أبي بصير، قال: قلتُ لأبي جعفر عليه السلام: "ترد علينا أشياء لا نجدها في الكتاب والسنة، فنقول فيها برأينا؟، فقال: أما إنّك إنْ أصبتَ لم تؤجر، وإنْ أخطأتَ كذبتَ على الله"[٧٦].

ومنها: أنّ الإمام عليه السلام نهى الفقهاء عن الفتوى بغير علم، لأنّها سبب للضلال والانحراف، وعلى اساس ذلك يستحق فاعلها لعنة الملائكة، حيث قال عليه السلام: "مَنْ أفتى الناس بغير علم ولا هدى من الله، لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ولحقه وزر مَنْ عمل بفتياه"[٧٧].

ومنها: ما تحدث عليه السلام به من صفات يجب توافرها في الفقيه، فعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: "قال أمير المؤمنين: ألا أخبركم بالفقيه حقّاً؟، قالوا: بلى يا أمير المؤمنين، قال: مَنْ لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره"[٧٨].

وعن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر عليه السلام، أنّه سئل عن مسألة فأجاب فيها، قال: فقال الرجل: "إنّ الفقهاء لا يقولون هذا، فقال: يا ويحك، وهل رأيتَ فقيهاً قط؟!، إنّ الفقيه حقّ الفقيه؛ الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، المتمسّك بسنّة النبي"[٧٩].

المحور الرابع: تربية الفقهاء.

لقد استطاع الإمام الباقر عليه السلام على أساس هذا الاتجاه من الوعي والمعرفة، وعلى ضوء هذه الإرشادات أنْ يربي جيلاً من الفقهاء الرواة، فكان عليه السلام يحثّ شيعته ولاسيّما شبابهم على التفقه في الدين، قال عليه السلام: "تفقهوا في الحلال والحرام، وإلاّ فأنتم أعراب"[٨٠]، وقال عليه السلام: "لو أتيت بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه في الدين لأوجعته"[٨١].

وتخرج على يده جمهرة كبيرة من مراجع الفتيا، ممن أجمعت الطائفة على تصديقهم، وكونهم

أفقه الأولين، أمثال زرارة، ومعروف بن خربوذ، وبُرَيد بن معاوية، وأبي بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي، وأبان بن تغلب، وغير هؤلاء كثير(٨٢).

وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى جلالة الفقهاء من أصحاب أبيه عليه السلام، حيث قال جميل بن دراج: سمعتُ ابا عبد الله عليه السلام يقول: (أوتاد الأارض، وأعلام الدين اربعة: محمد بن مسلم، وبُرَيد بن معاوية، وليث بن البختري المرادي، وزرارة بن أعين)(٨٣).

وكان الإمام عليه السلام يخلق فيهم حوافز الاهتمام بالفقه والاجتهاد به وإفادة الناس منه، عن طريق ممارسة التوثيق للنابهين منهم، على مستوى الشهادة له بالفقاهة وجواز الإفتاء، ومن ذلك قوله عليه السلام لأبان بن تغلب: "اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس، فإنّي أُحبّ أنْ يُرى في شيعتي مثلك"(٨٤).

وكان التنوع صفة بارزة في مدرسته الفقهية، ولذلك كان العلماء يقصدونه من كلّ البلاد الإسلامية، وفيهم من أئمة الفقه والحديث كثيرون، فأخذ منه ومن ولده الصادق عليه السلام، أعلام الأُمّة آنذاك كأبي حنيفة، ومالك، وسفيان الثوري، وأبي إسحاق السبيعي، والأوزاعي، وحجاج بن أرطاة، وحفص بن غياث، والحكم بن عتيبة، وربيعة الرأي، والزهري، وعبد الملك بن جريج، وعطاء بن أبي رباح، ووكيع، وغيرهم.

المحور الخامس: رجوع الفقهاء إلى رأيه في المسائل الغامضة من أحكام الشريعة، منهم أبو إسحاق السبيعي، في مسألة المسح على الخفين(٨٥)، وعبد الله بن عمر حين سأله رجل عن مسألة، فلم يدر بما يجيبه، فأرسله إلى الإمام الباقر عليه السلام(٨٦).

وروي أنّه جاءت امرأة إلى محمد بن مسلم الثقفي فقالت له: "لي بنت عروس ضربها الطلق، فما زالت تطلق حتى ماتت، والولد يتحرك في بطنها، ويذهب ويجيء، فما أصنع؟، فقال: يا أَمَة الله، سئل الباقر عن مثل ذلك فقال: يشق بطن الميت ويستخرج الولد، أفعلي مثل ذلك يا أَمة الله، أنا في ستر، مَنْ وجّهك إليّ؟، قالت: سألتُ أبا حنيفة فقال: عليك بالثقفي، فإذا افتاك فأعلميني"(٨٧).

وروي عن ابن أبي ليلى أنّه قدّم إليه رجل خصماً له، فقال: إنّ هذا باعني هذه الجارية فلم

أجد على ركبها حين كشفتها شعراً، وزعمت أنه لم يكن لها قط.

فقال له ابن أبي ليلى: إنّ الناس ليحتالون لهذا بالحيل حتى يذهبوا به، فما الذي كرهت؟، قال: أيها القاضي، إنْ كان عيباً فاقضِ لي به.

قال: حتى أخرج إليك، فإنّي أجد أذىً في بطني، ثمّ دخل وخرج من باب آخر، فأتى محمد بن مسلم الثقفي، فقال له: أي شيء تروون عن أبي جعفر في المرأة لا يكون على ركبها شعر، أيكون ذلك عيباً؟، فقال له محمد بن مسلم: أمّا هذا نصّاً فلا أعرفه، ولكنْ حدثني أبو جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: كلّ ما كان في أصل الخلقة فزاد أو نقص فهو عيب.

فقال له ابن أبي ليلى: حسبك، ثمّ رجع إلى القوم، فقضى لهم بالعيب"[٨٨].

وهنا نلاحظ كيف أفادَ محمد بن مسلم من هذا الحديث كقاعدة فقهية عينت موضوع الحكم.

الهوامش

١- المفيد، الارشاد، ٢/ ١٥٨.
٢- المصدر نفسه، ٢/ ١٥٧.
٣- المجلسي، بحار الانوار، ٤٦/ ٢٢٧، حد٨.
٤- المصدر نفسه، ٤٦/ ٦٠، حد١٨.
٥- المصدر نفسه، ٤٧/ ٩، حد٤.
٦- عبدالله بن عطاء المكي، من اصحاب الامامين الباقر والصادق'. أبو القاسم الخوئي، معجم رجال الحديث، ١٠/ ٢٥٧، رقم ٦٩٩٤. وقال الذهبي في ترجمته: >عبد الله بن عطاء المكي: صدوق إنْ شاء الله<. ميزان الاعتدال، ٢/ ٤٦١، رقم ٤٤٥١.
٧- المفيد، الارشاد، ٢/ ١٦٠.
٨- المجلسي، بحار الانوار، ٤٦/ ٣٣٢، حد١٤.
٩- المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٥٧.
١٠- المصدر نفسه، ٤/ ٥٧.
١١- ذكر ابن ابي الحديد المعتزلي أنّ السبب الذي جعل عمر بن عبد العزيز يترك لعن علي، هو أنّ عمر قال: (كنتُ غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود، فمرَّ بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان، ونحن نلعن علياً، فكره ذلك ودخل المسجد، فتركتُ الصبيان وجئت إليه لأدرس عليه وردي، فلما رآني قام فصلى وأطال في الصلاة شبه المعرض عني حتى أحسستُ منه بذلك، فلما انفتل من صلاته كلح في وجهي، فقلتُ له: ما بال الشيخ؟، فقال لي: يا بني أنت اللاعن علياً منذ اليوم؟، قلتُ: نعم، قال: فمتى علمتَ أنّ الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم!، فقلتُ: يا أبت، وهل كان علي من أهل بدر!، فقال ويحك! وهل كانت بدر كلّها إلا له!، فقلتُ: لا أعود، فقال: الله أنّك لا تعود!، قلتُ: نعم فلم ألعنه بعدها.
ثمّ كنتُ أحضر تحت منبر المدينة، وأبي يخطب يوم الجمعة ـ وهو حينئذٍ أمير المدينة ـ فكنتُ أسمع أبي يمر في خطبه تهدر شقاشقه، حتى يأتي إلى لعن علي فيجمجم، ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به، فكنتُ أعجب من ذلك، فقلتُ له يوماً: يا أبت أنت أفصح الناس وأخطبهم، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك، حتى إذا مررتَ بلعن هذا الرجل صرت ألكن عليّا!، فقال: يا بني، إنّ مَنْ ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد. فوقرت كلمته في صدري مع ما كان قاله لي معلمي أيام صغري، فأعطيتُ الله عهداً، لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأغيرنه، فلما منّ الله علي بالخلافة أسقطت ذلك، وجعلتُ مكانه: ﴿**إِنَّ اَللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي اَلْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ اَلْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[٥]، وكتب به إلى الآفاق فصار سنة). شرح نهج البلاغة، ٤/ ٥٨ ـ ٥٩. ۞ النحل: ٩٠.
١٢- النحل: ٩٠.
١٣- الكليني، الكافي، ١/ ٢٩٧.

١٤- ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/ ٣١٩، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٣٥١، مادة (جهد)، الفيومي، المصباح المنير، ١١٢.

١٥- علي الغروي، التنقيح في شرح العروة الوثقى (الاجتهاد والتقليد) ـ تقرير بحث السيد ابوالقاسم الخوئي ـ، ٢٠.

١٦- البهائي، زبدة الاصول، ١٥٩. وانظر: محمد بحر العلوم، الاجتهاد والتقليد، ٣٦ عن جمال الدين الكلبايكاني في الرسائل.

١٧- محمد سرور الواعظ البهسودي، مصباح الاصول ـ تقرير بحث السيد ابوالقاسم الخوئي ـ، ٣/ ٤٣٤، وانظر: العاملي، معالم الدين وملاذ المجتهدين، ٣٨١، محمد كاظم الخراساني، كفاية الاصول، ٤٦٣، محمد تقي البروجردي، نهاية الافكار ـ تقرير بحث الشيخ ضياء الدين العراقي ـ، ٤/ ٢١٧.

١٨- محمد مهدي شمس الدين، الاجتهاد والتقليد، ٧٣.

١٩- انظر ترجمته: الصفدي، الوافي بالوفيات، ١/ ١٠٨، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٧/ ٣٤٤، الحر العاملي، أمل الآمل، ٢/ ٣٠٤، عبدالله افندي، رياض العلماء، ٥/ ١٧٦ ـ ١٧٩، خيرالدين الزركلي، الاعلام، ٧/ ٢١، محمد باقر الخوانساري، روضات الجنات، ٦/ ١٥٣ ـ ١٧٨، عباس القمي، الكنى والالقاب، ٣/ ١٩٧ ـ ١٩٩، محمد رضا الحكيمي، تأريخ العلماء، ٤٨٥ ـ ٤٩٨، التنكابني، قصص العلماء، ٦٩٠ ـ ٧٠٩.

٢٠- انظر ترجمته: الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢١/ ٦ ـ ١٠، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٧/ ٥٨٨ ـ ٥٩٠، عبدالله افندي، رياض العلماء، ٤/ ١٤ ـ ٦٤، محمد رضا الحكيمي، تأريخ العلماء، ٣٧٩ ـ ٣٩٣، التنكابني، قصص العلماء، ٧١٠ ـ ٧١٦.

٢١- انظر ترجمته: الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢/ ٢٥٨، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٨/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥، محمد باقر الخوانساري، روضات الجنات، ٦/ ٢١٦ ـ ٢٤٩، خير الدين الزركلي، الاعلام، ٦/ ٨٤، محمد رضا الحكيمي، تأريخ العلماء، ٥١١ ـ ٥١٥، التنكابني، قصص العلماء، ٧٢٢ ـ ٧٢٧.

٢٢- عدنان فرحان، تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الامامية، ٥٢.

٢٣- محمد حسين الاصفهاني، نهاية الدراية في شرح الكفاية، ٣/ ١٩١.

٢٤- عبدالهادي الفضلي، التقليد والاجتهاد، ١٨٤.

٢٥- معارج الاصول، ٢٥٣.

٢٦- محمد باقر الصدر، المعالم الجديدة للاصول، ٣٩، دروس في علم الاصول، ١/ ٥٥، مرتضى المطهري، الاجتهاد في الاسلام ـ رؤى جديدة في الفكر الاسلامي ـ، ٧/ ١٠٤، عبدالهادي الفضلي، تأريخ التشريع الاسلامي، ١٤٤، عدنان فرحان، تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الامامية، ٥٥، محمد صنقور، المعجم الاصولي، ١/ ٣٥.

٢٧- محمد تقي الحكيم، الاصول العامّة للفقه المقارن، ٥٦٥، عن مصطفى عبدالرزاق، تمهيد لتأريخ الفلسفة الاسلامية، ١٣٨.

٢٨- انظر: الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج/ ١٨، با/ ٣٥ من ابواب صفات القاضي.

٢٩- قال السيد المرتضى: "إنّ الاجتهاد باطل، وإنّ الإمامية لا يجوز عندهم العمل بالظن ولا الرأي ولا الاجتهاد". الذريعة الى اصول الشريعة، ٢/ ٣٠٨. وقال الشيخ الطوسي: "أمّا القياس والاجتهاد فعندنا أنّهما ليسا بدليلين، بل محضور استعمالهما...". العدّة في اصول الفقه، ١/ ٨.

٣٠- محمد باقر الصدر، المعالم الجديدة للاصول، ٣٩، دروس في علم الاصول، ١/ ٥٥.

٣١- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ٤/ ٢٨٩، باب الهاء، فصل الفاء.

٣٢- حسن بن زين الدين الشَّهيد الثّاني، معالم الدين وملاذ المُجتهدين، ٢٢.

٣٣- زكي الميلاد، الفكر الاسلامي بين التأصيل والتجديد، ٤٢٠.

٣٤- هُناك رأي للسيّد مُحَمَّد باقر الصدر، حيث يقول إنَّ علم الُأصول نشأ في أحضان علم الفقه، كما أنَّ علم الفقه نشأ بداية في أحضان علم الشريعة المُتقدّم الأوّل. راجع: المعالم الجديدة، ٥٢.

٣٥- أبو زهرة، أصول الفقه، ٨ ـ ١٠.

٣٦- النجاشي، الرجال، ١/ ٧٣، الطوسي، الفهرست، ١٧، الرقم ٥١.

٣٧- الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ٢٧/ ١٤٧، حد٣٦.

٣٨- النجاشي،الرجال،٣١١،الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٧/ ١٤٩، با/ ١٧ مِنْ أبواب صفات القاضي، حد٣٤.

٣٩- انظر رجال النجاشي، ٤٤٦، رقم (١٢٠٨).

٤٠- المجلسي، بحار الانوار، ٢/ ٨٨، حد١٢.

٤١- عباس القمي، سفينة البحار، ١/ ٢٢.

٤٢- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٧/ ٦٢، با/ ١١ مِنْ أبواب صفات القاضي، حد٥٢.

٤٣- انظر: الطوسي، الفهرست، ١٧٤ ـ ١٧٥، رقم ٧٦١.

٤٤- المصدر نفسه، ١٨١، رقم ٧٨٩.

٤٥- المصدر نفسه، ٤٦، رقم ١٥٠.

٤٦- قام جمعٌ مِنْ أعلام الفُقهاء والأصوليين بجمع ما وَرَدَ عَنْ الأئمةﷺ مِنْ قواعد أصولية في مُصنّفات خاصّة رتّبوها على حسب تبويب علم الأُصول.

منهم: السّيِّد هاشم بن زين العابدين الخونساري الأصفهاني المُتوفى عام ١٣١٨هـ، حيث جمع كتاباً فيما وَرَدَ عَنْ الأئمةﷺ في ذلك، ورتّبه على ترتيب مباحث أُصول الفقه الدائر في عصورنا هذهِ، أسماه "أُصول آل الرسول ﷺ" وقدْ جمع فيه أزيد مِنْ أربعة آلاف حديث تضمّنت قواعد أصولية هامّة. **ومنهم**: السّيِّد عبد الله شُبّر المُتوفى عام ١٢٤٢هـ، حيث جمع في كتاب أسماه "الأُصول الأصيلة" مائة وأربعاً وثلاثين آية، وألفاً وتسعمائة وثلاث روايات واردة في مُهمّات المسائل الأصولية. **ومنهم**: الشَّيخ الحرّ العاملي المُتوفى عام ١١٠٤هـ، حيث جمع القواعد الُأصولية الكُلِّية المنصوصة في كتاب واحد أسماه "الفصول المُهمّة في أُصول الأئمة ﷺ".

٤٧- أبو القاسم كرجي، تأريخ الفقه والفُقهاء، ٣١١.

٤٨- الكليني، أُصول الكافي، ١/ ٦٢، باب النهي عَنْ القول بغير علم، حد١٠٣.

٤٩- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٧/ ٢٠٧، با/ ١٤ مِنْ أبواب صفات القاضي، حد١.

٥٠- الشيعة وفنون الاسلام، ٣٢٥ـ ٣٢٧.
٥١- تأسيس الشيعة، ٣١٠.
٥٢- اصول الفقه، ١٦. هذا وقد ذكر الشيخ ابو زهرة في كتابه الإمام الصادق، ٢٦٩ "أنّ القواعد الاصولية قد تمّ إملاؤها من قبل أئمة الشيعة، وقد ألّف بعض أصحاب الامام الصادق عليه السلام ـ مثل هشام بن الحكم ـ كتاباً في هذا المورد..."، وأخذ يذكر بعض الروايات التي تشتمل على القواعد الكلية في هذا المجال.
٥٣- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٢٧/ ١٢٠، با/ ٩ من ابواب صفات القاضي، حد٣٧.
٥٤- المصدر نفسه، ٢٧/ ١١٢، با/ ٩ من ابواب صفات القاضي، حد١٨.
٥٥-المصدر نفسه، ٢٧/ ١٢٣، با/ ٩ من ابواب صفات القاضي، حد٤٧.
٥٦- حسين النوري، مستدرك وسائل الشيعة، ١٧/ ٣٠٣، با/ ٩ من ابواب صفات القاضي، حد٢.
٥٧- المصدر نفسه، ١٧/ ٣٠٣، با/ ٩ من ابواب صفات القاضي، حد٢.
٥٨- الطوسي، تهذيب الأحكام، ١/ ٤٢٢، حد١٣٣٥.
٥٩- قاعدة الفراغ: >هي حكم المكلف بصحّة عمله بعد الفراغ عنه والشكّ في صحّته، فللقاعدة موضوع ومحمول، موضوعها العمل المفروغ عنه المشكوك في صحته وفساده، ومحمولها الحكم بالصحة وترتيب آثارها عليه<. على المشكيني، اصطلاحات الاصول، ١٩٩.
٦٠- الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٨/ ٢٣٧، با/ ٢٤ من ابواب الخلل الواقع في الصلاة، حد٣.
٦١- المصدر نفسه، ٦/ ٣١٨، ، با/ ١٣ من ابواب الركوع، حد٤.
٦٢- شرح نهج البلاغة، ١٥/ ٢٧٧.
٦٣- الارشاد، ٢/ ١٦٣.
٦٤- الذهبي، تذكرة الحفّاظ، ١/ ١٢٤ ، السيوطي، طبقات الحفّاظ، ٥٦.
٦٥- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/ ٤٠٣.
٦٦- انظر: الكليني، الكافي، ٨/ ١٢٠،٩٣، الصدوق، التوحيد، ١٧٣، المفيد، الإرشاد، ٢/ ١٦٤، الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ٢٠٤.
٦٧- الكليني، الكافي، ٦/ ٤٤٦.
٦٨- المصدر نفسه، ٦/ ٤٤، ٢٧٥.
٦٩- المجلسي، روضة المتقين، ١٢/ ٢٥٧.
٧٠- المصدر نفسه، ١٢/ ٢٥٧.
٧١- الصدوق، التوحيد، ٩٢ ، معاني الأخبار، ٧.
٧٢- أي وقت الأصيل.
٧٣- أي الشمس.
٧٤- أي لم يبرح مكانه.
٧٥- المجلسي، بحار الأنوار، ٤٦، ٢٥٩.

٧٦- البرقي، المحاسن، ١/ ٣٣٩، حد٩٨.
٧٧- المصدر نفسه، ١/ ٣٢٦، حد٦٠.
٧٨- الصدوق، معاني الأخبار، ١/ ٢٢٦.
٧٩- الكليني، الكافي، ١/ ٧٠، حد٨.
٨٠- البرقي، المحاسن، ١/ ٢٢٧، حد١٥٨.
٨١- المصدر نفسه، ١/ ٢٢٨، حد١٦١.
٨٢- الكشي، الرجال، ٢/ ٥٠٧.
٨٣- المصدر نفسه، ٢/ ٥٠٧.
٨٤- النجاشي، الرجال، ١٠.
٨٥- الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ٢٠٢.
٨٦- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ٣/ ٣٢٩.
٨٧- المصدر نفسه، ٣/ ٣٣١.
٨٨- الكليني، الكافي، ٥/ ٢١٥، حد١٢.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.
* أبو القاسم الموسوي الخوئي، ت: ١٤١٣هـ.
* معجم رجال الحديث، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.
* أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي، ت: ٤٥٠هـ.
* رجال النجاشي، تحقيق: السيد موسى الشبيري الزنجاني، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٩، ١٤٢٩هـ. ق.
* أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ت: ٧٧٠هـ.
* المصباح المنير، الناشر: مؤسسة دار الهجرة، ط٣، مطبعة سرور.
* جعفر بن الحسن المحقق الحلّي، ت: ٦٧٦هـ.
* معارج الأصول، تحقيق: السيد محمد حسين الرضوي الكشميري، المطبعة: سرور، قم المقدسة، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.
* حسن الصدر، ت: ١٣٥٤هـ.
* الشيعة وفنون الإسلام، تحقيق: السيد مرتضى المير سجادي، الناشر: مؤسسة السبطين عليهم السلام العالمية، المطبعة محمد، إيران ـ قم، ط١، ١٤٢٧هـ.ق ـ ١٣٨٥هـ.ش.
* زكي الميلاد.
* الفكر الإسلامي بين التأصيل والتجديد، دار الصفوة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.
* تجديد اصول الفقه، الناشر: المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠١٣م.
* عبد الحميد بن هبة الله المعتزلي، ت: ٦٥٦هـ.
* شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفاضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط٢: ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.
* علي المشكيني.
* اصطلاحات الاصول، منشورات الرضا، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.
* علي الغروي التبريزي.
* التنقيح في شرح العروة الوثقى ـ تقرير بحث السيد أبو القاسم الخوئي ـ، الناشر: دار المعارف الإسلامية، مطبعة الآداب، العراق ـ النجف الاشرف.
* عدنان فرحان، ابو انس.
* تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، دار السلام، بيروت ـ لبنان، ط٣، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.
* عبد الهادي الفضلي، الدكتور.
* التقليد والاجتهاد، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
* محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ت: ٧٤٨هـ.
* تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.
* سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.
* محمد بن إدريس الشافعي، ت: ٢٠٤هـ.
* الرسالة، تحقيق: الشيخ خالد السبع العلمي، والشيخ زهير شفيق الكبي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.
* محمد باقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني، ت: ١٣١٣هـ.
* روضات الجنات، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.
* محمد باقر الصدر، المحقق، ت: ١٤٠٠هـ.
* المعالم الجديدة للأصول، شريعت ـ قم، ١٤٢٩هـ، اعداد وتحقيق: لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر.
* محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، ت: ١١١١هـ.
* بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، ط٣:

١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، بيروت ـ لبنان.
* محمد تقي الحكيم، العلامة.
* الأصول العامّة للفقه المقارن، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط١: ١٩٦٣م، بيروت ـ لبنان.
* محمد بن سليمان التنكابني.
* قصص العلماء، المطبعة: ستارة، إيران ـ قم، ط٢، ١٤٢٩هـ، الناشر: ذوي القربى، ترجمة: الشيخ مالك وهبي.
* محمد بن الحسن الطوسي، شيخ الطائفة، ت: ٤٦٠هـ.
* العدة في أصول الفقه، تحقيق: محمد رضا الأنصاري القمي، المطبعة: ستارة، قم المقدسة، ط١، ١٤١٧هـ.ق.
* تهذيب الأحكام، تصحيح وتعليق: علي اكبرالغفاري، طهران: مكتبة الصدوق ١٤١٧هـ.
* ٢٣ـ الفهرست، تصحيح وتعليق: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، من منشورات المكتبة المرتضوية ومطبعتها، العراق ـ النجف الاشرف.
* رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران ـ قم، ط٥، ١٤٣٠ هـ.ق.
* محمد بن الحسن الحر العاملي، ت: ١١٠٤هـ.
* أمل الآمل، دار احياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.
* وسائل الشيعة، طهران، المطبعة الإسلامية ١٣٧٥ش.
* محمد حسين الأصفهاني، ت: ١٣٦١هـ.
* نهاية الدراية في شرح الكفاية، تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، قم: إيران، شوال، ١٤١٤هـ.
* محمد رضا المظفر، المجدد.
* ٢٨ـ أصول الفقه، ط٤، ١٩٩٢م، طبع وتوزيع جبار الحاج عبود.
* المنطق، الناشر: دار الغدير، ط٥، ١٤٢٧هـ، مطبعة سرور، قم.
* محمد صنقور علي.
* المعجم الأصولي، المطبعة عترت، الطبعة الثانية.
* محمد بن علي الصدوق، إمام المحدثين، ت: ٣٨١هـ.
* الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مكتبة الصدوق، إيران ـ طهران، ١٣٨٩هـ.ق ـ ١٣٤٨هـ.ش.
* من لا يحضره الفقيه، تحقيق: السيد حسن الخرسان، دار الاضواء، بيروت ـ لبنان، ط٦، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
* محمد بن يعقوب الكليني، ثقة الإسلام، ت: ٣٢٩هـ.
* ٣٣ـ الأصول من الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الاضواء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
* الفروع من الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الاضواء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م.
* محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: ٨١٧هـ.
* القاموس المحيط، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، بيروت ـ لبنان.
* محمد مهدي شمس الدين.
* الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي، المؤسسة الدولية، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
* ٣٧ـ الاجتهاد والتقليد، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.
* محمد سرور الواعظ البهسودي، ت: ١٣٥٧ هـ ش.
* مصباح الاصول ـ تقرير بحث السيد أبو القاسم الخوئي ـ، الناشر: مكتبة الداوري، المطبعة: العلمية، إيران ـ قم، ط٦، ١٤٢٠هـ.ق.
* محمد ابو زهرة.
* اصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

البنية البلاغية في الرؤية القيمية

في رسائل الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام

د. هدى سعيد بدر العميدي

جامعة الزهراء عليها السلام للبنات / كلية التربية / قسم اللغة العربية

تمهيد

مع اصطكاك الأفكار المنحرفة وتكالب القوى المظلمة على بلاد المسلمين وفي ظل توحد جبهة العدو وتفرق شتات المسلمين بين مصدق للحرب القائمة ، وبين مكذب وبين مجانب لجبهة العدو وبين مصفق لها ،وبين ضعيف لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، هنا يأتي من لوساهم لساخت الأرض بالبشرية ؛حيث يأخذ إمام القلوب زمامها متخذا من القرآن ترعة ومنهاجا،جاعلا سلاحه العلم والمعرفة وجبهته العلماء والمتعلمين ؛لأن الحرب حرب عقول، حرب تجهيل وتعتيم وتشويه للحقائق وخلط للأوراق .

فكانت الوسيلة لإفساد خطة حربهم هي تعليم الشباب وتسليحهم بالعلم وضخهم بالعقيدة وزجهم في مدارس تساعدهم على فرز الأوراق المتداخلة وفك شيفرة الاحداث بشكل متقن.

من هنا تحاول الباحثة عبر بحثها هذا؛ الوقوف على أهم العوامل التي جعلت مدرسة الامام الباقر ﷺ تعيش خالدة ،وتستمر في الصمود ، على خطورة التيارات التي كانت تغزو المجتمع الإسلامي آنذاك ،وسحبها إلى وقتنا الحالي ،وقياس مدى تقاربها مع تيارات اليوم؛ للخلاص إلى طريقة حلٍ لإنقاذ شيعة الإمام الباقر صلوات الله عليه الذين عاشوا الأوضاع نفسها.

وسيكون ذلك عبر عرض رسائل الإمام الباقر ومكاتباته إلى شيعته وأصحابه التي جمعها الشيخ أحمد الميانجي في كتاب (مكاتيب الأئمة) في الجزء الثالث من الكتاب ، حيث حوى الكتاب مكاتيب جميع الأئمة ومكتوباتهم التي جاءت بخط أيديهم أو أملوها على أحد أصحابهم ،والكتاب محقق من قبل أستاذ الحوزة العلمية في قم المقدسة ؛مجتبى الفرجي وتمت مراجعة الكتاب وتنقيحه مرات أخرى وبإشراف ذرية المؤلف.

أولا: البنية البلاغية والرؤية القيمية

بما أن البحث يروم الوقوف على أهم مقومات نجاح مدرسة الإمام الباقر ﷺ في إيقاف التيارات المناهضة للدين الحنيف والمناوئة للعقيدة الحقة والفطرة الإنسانية ،وأسباب نجاحها

في إيقاف التيارات الإلحادية والإنحرافات الأخلاقية ،من اجل تسخير ذلك في خدمة المجتمع المسلم حاليا ،والإفادة من الأساليب التي اتبعتها مدرسته صلوات الله عليه ،لتنفيذها واثبات فعاليتها في إيقاف تمدد المشكلة العقائدية و طفو الانحلال الأخلاقي بين المجتمع المسلم ،و التجاهر بالبعد عن الدين بل والتباهي به، لأن البلاغة تعنى كثيرا بحال المخاطب ومقتضى حالته التي هو عليها .

وانطلاقا من الاعتقاد أن رسائل الإمام الباقر صلوات الله عليه تعالج حال المعني بالخطاب وتتأقلم مع جميع الحالات التي يعيشها المجتمع ؛ركز البحث على أوتاد عملية التواصل ؛بين مخاطب مغرر به ، ومتكلم متعرض للحرب الإعلامية، ونص أريد له الإجهاض قبل أن ير النور ، من هنا يعالج البحث تلك البنى البلاغية التي شكلت النص الأدبي ،مع الهدف القيمي للمتكلم و الوسائل البلاغية التي اتبعها ليقنع مخاطبه ،إذ لم تكن رسائله عليه السلام ومكتوباته دون هدف ودون آيدلوجية موازية بذكائها واحترافيتها دهاءَ الآيدلوجية الصفراء التي رسمها أعداء آل محمد آنذاك لقتلهم والفتك بمحبيهم وشيعتهم ،وهو ما ألجأ الإمام عليه السلام لأن يتخذ البنية البلاغية غطاء يحمي به محبيه ممن يتواصلون معه ويطلبون إليه التوجيه فيما يمر بهم من أحداث تستدعي منهم موقفا يعكس ولاءهم ويخفي انتماءهم لمدرسة الإمام الباقر عليه السلام

ولهذا عنونت بحثي بـ "البنبة البلاغية في الرؤية القيمية في رسائل الإمام الباقر"؛ لأتناوَل رسائله من وجوه بلاغيَّة عديدة:

المطلب الأول يأخذ ثيمة من ثيمات علم المعاني وهي ؛ انشائية الجمل وخبريتها في رسائل الإمام عليه السلام

فيما يتناول **المطلب الثاني** جزئية مهمة من علم البيان ألا وهي ؛ الجملة المجازية في رسائله عليه السلام..

أما **المطلب الأخير** فيتعرض لأكثر ثيمة تكررت من علم البديع في رسائله عليه السلام ؛ وهي التكرار

أ ـ التنقل بين إنشائية الجملة وخبريتها

يعد الخبر والإنشاء من أهم مباحث علم المعاني[1] ؛ وفي رسائل ومكاتيب حرص مُمليها على مراعاة حال مخاطبه ،وكان حذقا جدا في اختياره للفظته مع من يُكاتب أو يخاطب ففي كتابه لسعد الخير (**أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله والسلامة من التلف والغنيمة في المنقلب**) [2] يخاطب ﷺ سعدا وهو من خلص شيعته [3]،نلحظ الإمام يستخدم سلطته الروحية ويأمر مواليه بتقوى الله وهنا واضح جدا تجلي إمامته بخطابه لسعد فبعد أن أمره بتقوى الله صار يخبره بأخبار الأمم الماضية (**إن الله يقي بالتقوى عن العبد ما عزب عنه ،..وبالتقوى نجا نوح ..وبالتقوى فاز الصابرون ..ونجت تلك العصب من المهالك ..نبذوا طغيانهم من الإيراد بالشهوات لما بلغهم في الكتاب من المثلات ،حمدوا ربهم على ما رزقهم وهو أهل الحمد ،وذموا انفسهم على ما فرطوا وهم أهل الذم..**)[4] نلحظ حسن المزاوجة بين الخبرية والإنشائية في الجمل، فهو ﷺ في الوقت الذي يأمر ،يعود ليذكر وفي الوقت الذي ينشئ فعلا،يحدثه بخبر.

وهنا للمخاطب الدور الكبير في خطاب الإمام فلو كان الخطاب موجها لغير موالٍ أو لغير محبٍ أو مخالفٍ في هوىً لكان الحديث مختلفا ؛فكون المخاطب من شيعته هيئ البساط لأن ينفتح الحديث على مصراعيه وأن يغدق الإمام عليه بالنصح والإرشاد ،وذلك الطابع غلب على رسائله ﷺ لصحابته وشيعته إذ يحرص الإمام في بعض رسائله اليهم أن يبث لهم تعاليم جده ويوضح شريعته ويوصل لهم بعض ما غاب عنهم وذلك كان عبر رسائله الفقهية والوعظية الواردة في كتاب مكاتيب الأئمة ﷺ .

فيما غطيت رسائله إلى عامة الناس ممن هم شيعته وممن يكنون له البغض ويظهرون له العداء ، وهو ﷺ في موقف يحتم عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن صدح بذلك وأعلن عنه قتل وشرد واهلوه ، وأؤذي شيعته مما يلجئه إلى تغطية رسائله بطابع الدعاء وتأطيرها بالابتهال لله ،و لينقل عبرها صورة التوحيد الحقيقي ،في وقت شاع فيه الإلحاد كما في رسالته ((**أشهد ان لا اله الا الله ،وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله ،آمنت بالله وبجميع رسله وبجميع ما أنزل على جميع الرسل ،وان وعد الله حق ،ولقاءه حق وصدق**

الله وبلغ المرسلون ، والحمد لله رب العالمين))[٥] وهي رسالة في باطنها تحمل الكثير وأول ما تحمل هو وحدانية الله ومعدن توحيده وخلص موحديه هم آل محمد عليهم السلام فنلاحظ جليا إن الإمام عليه السلام يوجه رسالة واضحة المضمون لمن ينكر وجود الله ويدعي خلاف نبوة جده صلى الله عليه وآله رغم أن مكتوبه ظهر وتداوله المتلقون على هيئة دعاء .

فيما تداوله محبوه وردا وحرزا للحفظ؛ فالمكتوب في الوقت الذي كان مواجهة للخط الإلحادي ،كان رسالة وعي لشيعته ومحبيه عليه السلام ليحذرهم من موجة بدأت تجتاح المجتمع المسلم آنذاك وهي موجة اللجوء للأحراز والسحرة والشعوذة ،فالإمام حاول كل جهده أن يحمي محبيه من أولئك الدجالين وأن يحذر من الموجة قبل استفحالها وأن لا تنطلي عليهم تلك الحيل والأكاذيب التي كانت تنادي بها تلك الثلة

فالإمام عليه السلام حاول بكل مناسبة وبكل مكتوب أن يستثمر الفرصة ليوعي شيعته ويحميهم من الوقوع في ذلك الفخ

ولو عدنا لتاريخ العصر آنذاك نجد التيارات المعادية للإسلام قد تلبست بوجوه عدة ومن الطبيعي أن تمر حيلتها وتنطلي على المسلم الموالي والذي يقطن بعيدا عن مكان تواجد الإمام، لذا كانت رسائله عليه السلام تحمل الفكر المحمدي وتعبئ جبهة الشيعة آنذاك بالثقافة السليمة والطريق الأسلم والنهج الأقوم لآل محمد عليهم السلام.

وذلك ما يتجسد أيضا في دعائه عليه السلام **((أسألك اللهم الرفاهية في معيشتي ما أبقيتني ،معيشة أقوى بها على طاعتك وأبلغ بها رضوانك وأصير بها إلى دار الحيوان غدا ، ولا ترزقني رزقا يطغيني ،ولا تبتلني بفقر أشقى به مضيقا علي ،أعطني حظا وافرا في آخرتي ،ومعاشا واسعا هنيئا مريئا في دنياي ،ولا تجعل الدنيا علي سجنا ،ولا تجعل فراقها علي حزنا أجرني من فتنتها واجعل عملي فيها مقبولا وسعيي فيها مشكورا .. اللهم من أرادني بسوء فأرده ومن كادني فكده))**[٦].

بنظرة خاطفة نلحظ أن الجمل الطاغية على المكتوب في رسالته عليه السلام هي الجمل الإنشائية والتي خرجت لمعنى الدعاء، وبنظرة أخرى أكثر روية نتبين أن مضمون المكتوب يعالج

قضايا اجتماعية وأخرى فكرية ومرة اخرى اقتصادية؛ فبين ضيق المعيشة وضعف اليقين بالله وانتشار المذاهب السياسية والمدارس الدينية المختلفة التي تدعم الخروج عن الدين والمروق عن المبادئ [٧]؛يطرح الإمام في مكتوبه (الدعائي) الحل لذلك وهو اللجوء لله وشدة الأمل به، والتعلق بأذيال رحمته سبحانه ،والتخلي عن زينة الدنيا وزخرفها والحذر من أهلها الذين يجعلون الدين لعقا على السنتهم ويعبدون الله على حرف .

ولو سحبنا مكتوب الإمام وخطابه إلى عصرنا الحالي وإلى شيعته الآن فإنا نجدها العلاج الانجع لحل مشكلة المجتمع الحالي الذي يعاني من تقهقر ثقافة التدين وثقافة الورع واحترام العِمة وتقديس أهل الدين ،إذ صار أغلب المجتمع ـــ ومع كل الأسف ـــ يحترمون أهل المجون والفسق ويحضرون مجالسهم ويستمعون أقاويلهم ويتبعونهم ألفاظهم وأقاويلهم وأسلوب حياتهم ،وهو حتما أسلوب حياة بعيد كل البعد عن الأسلوب الإسلامي القويم والمبادئ القرآنية الحقة، بل ويناقض المعاني الإنسانية والفطرة السليمة؛((**فعُمل بالبدعة وتُرك الكتاب والسنة ،ونطق أولياء الله بالحجة وأخذوا بالكتاب والحكمة فتفرق من ذلك اليوم أهل الحق وأهل الباطل ،وتخاذل وتهادن أهل الهدى ،وتعاون أهل الضلالة ...فإن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين**))[٨] ..

يشير الإمام هنا ﷺ إلى أمر أشد كَلماً وأبلغ ألما، وما يزيد الأمر بلة أن ما يجري من الاستخفاف بالدين يأتي على مرأى ومسمع من الأسر المسلمة دون إعارتها أي بال للأبناء وهم يتبعون هؤلاء اتباعا أعمى ، ودون شعور بخطورة اتباع الأبناء لتلك الفئات المدمرة من المجتمع وانقيادها للمنظومات الخارجية والآيدلوجية التي حيكت خيوطها بليل، لزج شبابنا في مرمى سلاحهم الأصفر وليكونوا ضحية إرهابهم المبطن بألف وجه وألف قناع ..

كل ذلك كان يجري في زمن الإمام الباقر ﷺ ما جعله يصير مكاتيبه لمعالجة ذلك في مجتمعه آنذاك ،ولكل مجتمع حر غيور يريد أبناؤه الرقي ،لكن الأمور باتت اكثر سوءً، والحرب أشد ضراوة و فتكا بالمجتمع المسلم والأسرة المحافظة .

وهو ما دفع بالإمام إلى التنويع بمكاتيبه ؛فبين التوجس من وقوع المكتوب بيد الأمويين وبين ضرورة وصوله إلى الموالين كان يستخدم الإمامعليه السلام الأسلوب الخبري ؛((**وكل أمة قد رفع الله عنهم علم الكتاب حين نبذوه ،و ولاهم عدوهم حين تولوه وكان من نبذهم الكتاب ان اقاموا حروفه وحرفوا حدوده ،فهم يرونه ولا يرعونه ...فبئس للظالمين بدلا ولاية الناس بعد ولاية الله ،وثواب الناس بعد ثواب الله ورضا الناس بعد رضا الله**))[٩]

فمكتوب الإمام فيه نوع من التمويه لأعدائه، بينما رسالته واضحة للمعنيين وللمكتوب إليهم وهم شيعته، ومن جميع الأجيال وعبر جميع الأزمنة، أن سبب بلاآتكم وتسليط الظلمة عليكم هو من عند أنفسكم ومن جراء أعمالكم ونبذكم حكم الله وكتابه وراء ظهوركم.

من ذلك أتضح جليا اعتماد الإمام على تنويع جمله في مختلف مكاتيبه مراعاة لحال الشارع وإيمان المتلقي ،وأمانته ،إذ قد يكون مكتوبا واحدا خاصا يقع في يد أعدائه يتسبب في قتل قائد جبة الإسلام في زمانه ومن ثم يجهض عملية الإنقاذ التي كان يقوم بها الإمامعليه السلام ومن ثم تكسر شوكة المسلمين لا قدر الله، لذا التنقل بين الخبرية والإنشائية، وإنزال العارف منزلة الجاهل والعكس هي أساليب بلاغية أجاد الإمام استخدامها مراعيا نقض حال مخاطبه.

ب ـــ الجملة المجازية في رسائل الامامعليه السلام

يمكن وصف أهمية علم البيان على أنّه أهم ركائز فنون اللغة العربية وآدابها، حيث يساعد في شرح محاسن اللغة العربية وأشكال التعبير من خلالها، بالإضافة لتفسير الملامح الجمالية التي قد تتخلل أي قصيدةٍ، أو خطبةٍ، أو رسالةٍ معينةٍ، أو مقالٍ لأي متكلم، لذا فإنّ الإجادة في تحقيق قوانين علم البيان وإبداع مهاراته وفهمه أكثر يستلزم توفير آلاتٍ وأدواتٍ مثل النحو، والصرف، والأمثال العربية، والقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وعلم العروض، والقوافي[١٠]

يرتبط علم البيان في نشأته بظهور كلّ من العلوم البلاغية وهي علم المعاني، وعلم البديع؛ حيث كان هناك تداخل كبير فيما بينها، وقد ظهرت أول عصورها منذ أيام الجاهلية، مروراً بالعصر الإسلامي الذي طورها بفعل عوامل عديدة؛ مثل تحضُّر العرب، والاستقرار في المدن، والحركات الجدلية القوية بين الفِرَق الدينية في القضايا العَقَدِية، والسياسية، لذا

كثُرت الملاحظات البيانيّة والنقديّة على مر الأيام والعصور لتراجم بعض الشعراء الجاهليّين والإسلاميّين التي نجدها في العديد من الكتاب ككتاب "الاغاني" للأصفهاني.[١١]

أما أدوات العامِل بعلم البيان فأولاها؛ حفظ القرآن الكريم، مع فهم معاني مفرداته، واستعمال أسلوبه أثناء التحدث والكلام مع الآخرين. حفظ ما يلزم من أحاديث النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. تعلُّم علم اللغة؛ بما يمكنه من التمييز بين المفردات المستحسنة والقبيحة. معرفة علوم النحو والصرف في اللغة العربية. الاطلاع على قصص العرب، ومعرفة عاداتهم وأمثالهم. الاطلاع على مؤلفات السابقين في مجال علم البيان. معرفة الأحكام، والقوانين المتعلّقة بالإمامة، والإمارة، والقضاء، وغيرها من معرفة علم العروض الذي يوزن به الشعر.[١٢]

ولكن ذلك لم يجبر الإمام لأن يستعمل أساليب البيان ليثبت بيانه ومدى بلاغته ،فقد خالف ما كان متعارفا في زمانه من بداية دخول مذاهب البديع واختلاف مدارس البيان، وتبجح الشعراء والكتاب وتبارزهم في إثبات بلاغتهم وبراعتهم وتباريهم في ذلك ،وربما هو ما دعا الإمام إلى أن يخلي مكاتيبه من أساليبهم تلك متخذا السلاسة والسهولة في مكاتيبه مع ضخه المعلومة الأهم فالاهم في ضمنيات رسائله ولكن ذلك لا يعني غياب علم البيان تماما فمن المعروف أن العرب عرفوا به وتعاهدوه لذا طرح الإمام رسائله بالشكل الذي يتماشى مع الموقف العربي العام وفي الوقت ذاته يخالف المذاهب التي ظهرت في الوسط الأدبي والتي بالغت في بيانها وشذت عن الذوق ومن ذلك ما جاء في إحدى رسائل الإمام :

((اللهم انهج الي أسباب معرفته وافتح لي أبوابه وغشني ببركات رحمتك ومن علي بعصمة عن الازالة عن دينك وطهر قلبي من الشك))[١٣] استخدامه ﷺ للغشاء كناية عن السعة والتغطية بشكل كامل وهو ما يتلاءم ويتوافق مع آثار رحمة الله وبركات قربه من عبده ،وأيضا وضوح الهدف من الرسالة وهو اللجوء إلى الله والحث لاتباع مرضاته لاستجلاب رحمته وغشيان العبد في بركات ربه سبحانه وتعالى.

وما يتجلى أكثر في مكتوب آخر؛((**واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الأمل، واقطع أسباب الطمع ببرد اليأس**))[١٤] إذ تكمل رسائله عليه السلام بعضها بعضا لتحقق الهدف ذاته وتحقق الرمية ذاتها ،يدعم الإمام شيعته ممن استهوته الدنيا بأن يستعين عليها بقصر الأمل وأن (يستجلب) حلاوة الزهد بقصر الامل وهنا استعار الإمام (الجلب) و(الاستجلاب)ليصور حال الدنيا والعبد وعلاقة الشد والجذب بينهما ،فجاء حبل الإنقاذ برسالة الإمام عليه السلام وهو(قصر الأمل).

إعطاء الإمام العلاج لمرض المجتمع لا يعني عدم تشخيصه لماهية مرضه وأسبابه وهو ما أوضحه في مكتوبه :((**فلما غشي الناس ظلمة خطاياهم صاروا إمامين داع إلى الله تبارك وتعالى وداع إلى النار فعند ذلك نطق الشيطان فعلا صوته على لسان أوليائه، وشارك في المال والأهل والولد**))[١٥] فظاهرة الفسوق وطغيان الشذوذ الأخلاقي وانحراف الشباب عن فطرتهم التي خلقها الله ما كانت عبثا ولم تحصل فجأة ؛وإنما جاءت نتيجة لنبذهم تعاليم الله سبحانه فكان في ذلك فرح الشيطان وحزبه ،إذ فاز في مشاركته لعباد الله في أنفسهم وأهلهم وأموالهم وهم حتما بعد ذلك خرجوا من حزب الله ومعية ربهم إلى حزب الشيطان وحازوا رضا إبليس ،وهنا الطامة الكبرى وما يعيشه مجتمعنا الإسلامي الحالي ،إذ يجتهد البلغاء وأئمة المساجد والعارفون والكل من يهمه أمر دينه وقرآنه لأن يوقف العمل بالمنكر ،ولكن مامن مجيب بل للأسف نجد الأغلبية تأخذهم العزة بالإثم والتبجح بتطور الغرب متناسين الكرامة التي كرمها الله لبني إسماعيل ولقريش فكانت النتيجة ؛

((**وكان من نبذهم الكتاب أن ولوه الذين لا يعلمون فأوردوهم الهوى وأصدروهم إلى الردى وغيروا عُرى الدين**))[١٦]

من هنا نعرف مدى إحاطة الإمام الباقر عليه السلام بعلوم العربية والبلاغة بالخصوص، ومدى إتقانه تصويب خطابه نحو متلقي رسالته ،فما بين الحقيقة على أرض الواقع والمجاز في بطون الكتب خيط رفيع لا يحل خيط نسيجه، و لا يلقف مقصوده سوى شيعة الإمام عليه السلام ممن همهم الالتزام بخطهم ونهجهم وحفظ حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله في أهله ولده وثقليه.

ج ـ التكرار في رسائل الإمامعليه السلام

علم البديع فرع من علوم البلاغة يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال ووضوح الدلالة. وقد تتابعت التأليفات في هذا العلم وأصبح الأدباء يتنافسون في اختراع المحسّنات البديعية، وزيادة أقسامها، ونظمها في قصائد حتى بلغ عددها عند المتأخرين مائة وستين نوعًا.(١٧)

ويقسم علماء البلاغة المحسنات البديعية إلى قسمين: محسّنات معنوية، ومحسنات لفظية ويعد التكرار من المحسنات اللفظية التي ظهرت بشكل ملحوظ في رسائل الإمام الباقر عليه السلام كما في رسالته التي يصف فيها العلماء؛((**كم من قتيل لإبليس قد أحيوه ،وكم من تائه ضالٍ قد هدوه ،يبذلون دماءهم دون هلكة العباد وما أحسن أثرهم على البلاد وأقبح آثار العباد عليهم**))(١٨) كرر (كم)ليطبع في ذهن المخاطب أهمية تلك الثلة ووجودها في المجتمع المسلم وآثارها على بنائه أو هدمه ، ورغم خطر وعظم أهميتهم ،لا يأخذون بحجزتهم ولا يستظلون ببركات وجودهم، فقد عرض الإمام عليه السلام مشكلة العلماء مع المجتمع وتقبل غالبيته لعلماء الردى وزعماء الضلال ونبذهم لأئمة الهدى وعلماء التقى وهو ما أكده المكتوب التالي.

((**فأما أئمة الهدى فيقدمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم ، وأما أئمة الضلال فإنهم يقدمون أمرهم قبل أمر الله وحكمهم قبل حكم الله ،أتباعا لأهوائهم وخلافا لما في الكتاب**))(١٩)فالتكرار (أما) وكثرة استخدام حرف الهاء والميم، ليجذب أذن الملتقي ويلفت انتباهه للقضية وخطورة البعد عن ساحة القدس والسبحان والتقهقر عن طريق الصراط المستقيم طريق محمد وال محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين.

ورغم ذلك يبقى طريق العود إلى الله مفتوحا فيعود ويكرر الإمام الدعوة إلى طريق الحق((**ثم أمكن اهل السيئات من التوبة بتبديل الحسنات ،دعا عباده في الكتاب إلى ذلك بصوت رفيع لم ينقطع ولم يمنع دعاء عباده**))(٢٠)نلحظ التكرار في المعاني والقصدية الواضحة في خطاب السلمية الذي تمطر به رسائل الإمام عليه السلام إذ نرى طرح الإمام للمجتمع الطريقة المثلى لحل النزاع إذ بدئ تيار التكفير والتشريد و القتل وسفك الدماء البريئة، لكل من يخالفهم

،ولاسيما شيعة الإمام ،فشرع الإمام بطرح الحل الأمثل للحوار ،لتقبل الآخر والتعايش معه بسلام مادام يكف آذاه عن المسلمين ويعيش المجتمع في أمان من شره وفتنته ، لكن مدرسة الإمام عليه السلام ترفض ذلك تماما مبينا أن رحمة الله أوسع بعباده وأن حساب الخلق على رب الخلق فليس للإنسان أن يقتل اخاه باسم السماء وباسم خالق الإنسانية الذي دعاها إلى رحمته ووعدها بجنته وحذرها من جحيمه وغضبه ولم يعط الحق لأحد بأن يجري حكمه على خلقه متبجحا بإقامة الحدود وهو الأبعد عنها والأنأى عن تعاليمها.

أيضا من مكاتيبه عليه السلام التي ورد فيها التكرار هي المكاتيب الأخلاقية أو التهذيبية التي كان يؤدب شيعته عليه السلام **((لا شرف كبعد الهمة، ولا زهد كقصر الأمل ، ولا حرص كالمنافسة في الدرجات ..ولا خوف كالحزن ،ولا مصيبة كعدم العقال، ولا عدم عقل كقلة اليقين ..و لا جهاد كمجاهدة الهوى و لا قوة كرد الغضب ..))**[٢١] وهو مرة أخرى يعالج مرضا آخر بل أمراض عدة اجتماعية ونفسية ويمنح المرضى وصفة مجانية لمعالجة أنفسهم وتداركها.

ومرات أخرى يطبطب على قلوب المنكسرين ، عبر نفثاته الروحية في المكاتيب الدعائية **((يا موضع كل شكوى ويا سامع كل نجوى ..ويا خليل إبراهيم ويا نجي موسى ومصطفى محمد صلى الله عليه وآله ادعوك دعاء من اشتدت فاقته وقلت حيلته وضعفت قوته))**[٢٢]

الاقتباس

كثرة استخدامه في مكاتيب الإمام ولاسيما في المكاتيب الفقهية ألجأت الباحثة لأن تتعرض لهذه الثيمة المهمة في مكاتيبه عليه السلام كما في مكتوبه**((ما ضيع الجهاد الذي فضله الله عزوجل وفضل عامله على العمال تفضيلا في الدرجات والمغفرة والرحمة ؛لأنه ظهر به الدين وبه يدفع عن الدين وبه اشترى الله من المؤمنين انفسهم واموالهم بالجنة بيعا مفلحا منجحا))**[٢٣]

وكذلك بعض المكاتيب الدعائية ؛ التي جاءت للاستخارة**((اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة ..أسالك ان تصلي على محمد وال محمد وان تخرج لي خير السهمين في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله إنك على كل شيء قدير))**[٢٤]

وأيضا قليلا ما ورد في مكاتيب أخرى :((**فلعن الله الذين يكتمون ما انزل الله وكتب على نفسه الرحمة فسبقت قبل الغضب فتمت صدقا وعدلا ، فليس يبتدأ العباد بالغضب قبل ان يغضبوه**)).[٢٥]

نلحظ (**أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم**[٢٦]،**اللهم فاطر السموات والأرض**[٢٧]،**كتب على نفسه الرحمة فسبقت قبل الغضب فتمت صدقا وعدلا**[٢٨]))صور إمامية تحاكي مبادئ قرآنية ، وتنقل صورة واضحة عن مدرسة الإمام الحكيمة ،السلمية ،المعتدلة ،القرآنية.

النتائج

* كشف البحث عن عمق الروابط بين الأبنية البلاغية وعلو الأداء في المكتوب الإمامي عليه السلام.

* مدى تدخل المتلقي في تحديد الجمل ولاسيما في خبريتها و إنشائيتها ؛فالمكتوب أو الرسالة الموجهة للعامة غلب عليها الطابع الإخباري، بينما الرسائل الموجهة لشيعته وأصحابه تغلب عليها الإنشائية وهو ما عكس خوف الإمام على شيعته ومراعاته لأمنهم وطمأنينتهم وتلك إحدى صفات الإمام والقائد التي بات المسلمون يفتقدونها اليوم.

* لفتُ نظر المخاطب، وجلب انتباهه، ومواكبة العصر، لا يكون بالضرورة بالإكثار من الاساليب البديعية والزخرف اللفظي، فالبساطة أثبتت أنها أكثر فعالية وإن كان الزمن زمن زخرف وهي رسالة لأدباء اليوم من شعراء وكتاب أن يكون همهم وهدفهم رضا الله لا المجتمع والناس وأهوائهم وهو ما نراه اليوم للأسف مما حدى بالأدب العربي لأن يميل ميلا عظيما عن الطريق القويم من اغلب شعرائه.

* مراعاة حال المخاطب محبا كان أو مبغضا من أهم ما يثير الانتباه في رسائل الإمام فإن كان محبا فاز بحنو الأب الرؤوف على أبنائه وإن كان مبغضا فاز بالنصح المبين.

* حرص الإمام في مكاتيبه أن يبث روح السلام والتعايش حتى مع المخالفين وهو ما نلحظه جليا في المكاتيب الوعظية إذ في الوقت الذي نرى فيه قلب الإمام يتحرق ألما على ابتعاد أمة جده عن نهجه صلى الله عليه وآله كان يبث مواعظه ونهيه عن المنكر وأمره بالمعروف بود وحب واحترام للآخر .

* كان في أسلوب كل مكتوب فضلا عن قصده، معالجة لقضية آنية وقضية مجتمعية

* إدامة النظر في كلام الإمام الباقر أحد علماء آل محمد صلى الله عليه وآله؛وهو الإمام الذي عاصر زمنين إذ عاش مصيبة عاشوراء وسبي عماته في طفولته وعاش قتل أبيه في شبيبته وقتل شيعته في شيبته، لذا كانت مكاتيبه تختزل كل تلك الاحداث وترمي منع تكررها ثانيا ،لذا نرى مكاتيبه تهتم بمعالجة الأمراض الاجتماعية والنفسية والأخلاقية التي عاشها هو عليه السلام والتي نعيشها الآن في مجتمعنا الحالي، والتي لم تنبثق ولم تتكون إلا نتيجة الابتعاد عنه عليه السلام وعن نهج آبائه صلوات الله عليهم أجمعين.

الهوامش

١-ينظر شيماء محمد كاظم الزبيدي (٣-٤-٢٠١٧)، "علم المعاني"، www.uobabylon.edu.iq، اطّلع عليه بتاريخ ٣٠-٤-٢٠١٩. بتصرّف. ﷺ أ ب عبد العزيز عتيق، علم المعاني، القاهرة : دار النهضة العربية، صفحة ٢٥-٢٦ ، جزء الجزء: الأول. بتصرّف. أ ب ت "تعريف علم المعاني، وموضوعه، وواضعه"، www.hindawi.org، اطّلع عليه بتاريخ ٣٠-٤-٢٠١٩. بتصرّف. ↑ حسين لفته ، "محاضرات البالغة علم المعاني (/ المرحلة الثانية) "، www.ksc.uokufa.edu.iq، صفحة: ١. اطّلع عليه بتاريخ ٣٠-٤-٢٠١٩. بتصّرف.

٢-مكاتيب الأئمة ،احمد الميانجي ٣/ ٢٣٢

٣-ينظر معجم رجال الحديث

٤-مكاتيب الائمة ٣/ ٢٣٣

٥-م.ن:٣/ ٢٢٩

٦-م.ن. ٣/ ٢٣٠

٧-ينظر تاريخ ابن الاثير ٣/ ٣١١ وتاريخ الطبري ٤/ ٣٦٨، انساب الاشراف ٤/ ٣٨

٨-مكاتيب الائمة ٣/ ٢٣٥

٩-مكاتيب الأئمة ٣/ ٢٣٣

١٠-"تعريف و معنى بيان في معجم المعاني الجامع"، معجم المعاني الجامع، اطّلع عليه بتاريخ ٤-٧-٢٠٢٠. ﷺ أ ب الدكتور بسيوني عبدالفتاح فيود، علم البيان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، صفحة ١٦، ١٣-١٥.

١١-عبد العزيز عتيق، علم البيان، مكتبة مدرسة الفقاهة، صفحة ٧-٨، الجزء الأول. بتصّرف. ↑ - علم البيان نشأته وتعريفه وأهميته، صفحة ٦. بتصّرف.

١٢-↑ ينظر د.حسين الدراويش، د.علي أبوراس (٢٠١٢م)، علوم البلاغة العربيّة في مقدمة ابن خلدون، صفحة ٤١-٤٤. ↑ عبد العزيز عتيق، علم البيان، مكتبة مدرسة الفقاهة، صفحة ٧-٨، الجزء الأول. بتصّرف.

١٣-م.ن.٣/ ٢٣٠

١٤-م.ن.٣/ ٢٧٠

١٥-م.ن.٣/ ٢٣٤

١٦-م.ن. ٣/ ٢٣٣

١٧-عبد العزيز عتيق، علم البديع، بيروت: دار النهضة العربية، صفحة ٧ ، جزء الجزء: الأول. بتصّرف. ﷺ مازن داود سالم الربيعي (٢٢-٣-٢٠١٧)، "عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) وعلم البديع"،

١٨-مكاتيب الأئمة ٣/ ٢٣٦

١٩-م.م.٣/ ٢٣٧

٢٠-م.ن.٣/ ٢٣٣

٢١-مكاتيب الائمة ٣/ ٢٧٢

٢٢-م.ن. ٣/ ٢١٧

٢٣-مكاتيب الائمة٣/ ٢٦١
٢٤-م.ن :٣/ ٢٩٠
٢٥-م.ن.٣/ ٢٣٣
٢٦-سورة التوبة ١١١
٢٧-سورة فاطر ٣٨
٢٨-سورة الانعام ١١٥

المصادر والمراجع

* أنساب الأشراف، أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، التحقيق سهيل زكار – رياض زركلي.
* تاريخ ابن الأثير، ابن الاثير الجزري ،القاهرة، إدارة الطباعة المنيرية.
* تاريخ الطبري، ابن جرير الطبري، القاهرة، دار المعارف.
* "تعريف علم المعاني، وموضوعه، وواضعه"، حسين لفته.
* "تعريف ومعنى بيان في معجم المعاني الجامع".
* "عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ ﻫ) وعلم البديع"، أ ب ت مازن داود سالم الربيعي (٢٢-٣-٢٠١٧).
* علم البديع، عبد العزيز عتيق، بيروت: دار النهضة العربية.
* علم البيان، عبد العزيز عتيق، مكتبة مدرسة الفقاهة.
* علم البيان نشأته وتعريفه وأهميته، د. حسين الدراويش، د. علي أبوراس (٢٠١٢م).
* "علم المعاني عبد العزيز عتيق، القاهرة: دار النهضة العربية.
* علوم البلاغة العربيّة في مقدمة ابن خلدون،حسين الدراويش فلسطين.
* معجم رجال الحديث مؤلف: ابو القاسم بن علي أكبر خوئي، مطبعة الآداب (١٩٧٠).
* مكاتيب الأئمة، احمد الميانجي تح مجتبى فرجي ،دارالحديث العلمية الثقافية/ قم المقدسة.

دور الإمام الباقر عليه السلام
في إنعاش اقتصاد الدولة والفرد

الشيخ نبيل سرحان كاظم الحسناوي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث للأنام الصادق الأمين محمد وآله الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .

لا يقتصر دور رسول الله محمد ﷺ و الأئمة المعصومين عليهم السلام على بيان وتوضيح الجانب الإيماني العبادي للناس فقط كبيان الحلال والحرام والعقائد والأحكام و الفضائل والأخلاق ؛ بل بينوا لهم أيضاً كافة الجوانب الحياتية الأخرى غير العبادية كالجانب الاقتصادي ومنها تنظيم أموالهم عن طريق بيان حكم سلوكهم المالي الفردي التنموي الجائز منه كالتوفير المباح ، أو المحرم منه كالادخار للاحتكار المحرم ، وقد نهى رسول الله محمد ﷺ عن هذا النوع من السلوك المالي بلهجة شديدة فقال : (المحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله).[1]

كما بينوا للناس سلوكهم المالي الفردي الاستهلاكي المحرم كالإسراف أو التبذير .

وبينوا لهم أيضاً سلوكهم المالي المجتمعي مع الأخرين مثل تعاملاتهم التجارية فيما بينهم كالبيع والشراء والدين والقرض وغيرها الحلال منها والحرام .

فلم يجوزوا معاملة البيع والشراء إذا كانت تؤدي إلى الغش للآخرين ، كما حرموا التجارة إذا كانت تؤدي إلى الربا ، ونهوا عن البخس في المكيال ، وهكذا .

ولاشك أن الجانب الاقتصادي هو إحدى الدعامات القوية والأساسية التي يقام عليها كيان الدولة الإسلامية وغيرها ، فبدونه قد تسقط الدول وتنهار سريعاً وخصوصاً إذا كان الضعف الاقتصادي سببه اليد الطامعة والمعتدية على سيادة الدولة كما سياتي توضيحه .

ومن المعلوم أن أغلب المشاكل الاقتصادية – بل جميعها – لابد وأن تنتهي إلى حل ، ولابد أن يتوصل إلى علاج لها ، ومن هذه المشاكل هي المشاكل والأزمات والمآزق الاقتصادية التي لابد من أن تنتهي أيضاً إلى حل مناسب يرفع هذه المشكلة من أساسها وإن كان هذا الحل تدريجياً وبصورة بطيئة .

وقد ذكرت في طيات هذا البحث نماذج و مصاديق للمشكلة الاقتصادية التي أثرت بشكل

واضح على الدولة الإسلامية وأفرادها وبالتحديد في زمن الإمام الباقر عليه السلام وأوضحت فيه بالدليل ما هو الدور الذي قدمه الإمام الباقر عليه السلام في معالجة المشاكل الاقتصادية وبشكل سريع وانقاذ اقتصاد الدولة الإسلامية والفرد المسلم منها ، وأسميت هذا البحث بـ ((دور الإمام الباقر عليه السلام في إنعاش اقتصاد الدولة والفرد)) .

ولا أدعي أنني أول من كتب في هذا الموضوع ، بل وجدت بعض المصادر من الكتب وغيرها كتبت في هذا الموضوع أيضاً وسبقتني فيه وقد أفدتُ منها كثيراً ، ولكن هذا البحث المتواضع كتبته بطريقتي الخاصة وبمناهج مختلفة .

فقد استعنت فيه بالمنهج التاريخي والوصفي والتحليلي في إثبات ذلك ، فجئت بقصص وحوادث واقعية للإمام الباقر عليه السلام دلت على إنعاشه عليه السلام للاقتصاد ، كما قويت بحثي بكمٍ لا بأس به من الروايات المأثورة عنه عليه السلام المدونة في تراثنا الحديثي التي تعد كوثائق تأريخية تدل على ذلك ، كما حللت بعض هذه القصص والنصوص الروائية للوصول إلى النتيجة المطلوبة .

علماً أن هيكلية هذا البحث تتكون من المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث . (الكلمات المفتاحية) أو (التعريفات اللغوية والإجرائية) .

المبحث الثاني : تعداد بعض الأسباب التي تؤدي إلى حدوث المشكلة الاقتصادية ، و كيفية حلها بالنظام الاقتصادي الحديث الرأسمالي والاشتراكي ، و بالنظام الاقتصادي الإسلامي (مشكلة البحث والفرضيات المطروحة لحلها) .

المبحث الثالث : إثبات دور الإمام الباقر عليه السلام في إنعاش اقتصاد الدولة والفرد .

المبحث الأول : تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث (الكلمات المفتاحية) أو (التعريفات اللغوية والإجرائية) .

المطلب الأول : تعريف الدور لغةً واصطلاحاً .

تعريف الدور لغةً : يمكن فهم كلمة (الدور) بدلالة الحركة في محيط أو بيئة معينة من الفعل (دار)، دوراً، ودوراناً، بمعنى طاف حول الشيء، ويقال أيضاً دار حوله، وبه، وعليه، وعاد إلى الموضع الذي أبتدأ منه [٢]، إذ يعرف قاموس (وبيستر) مصطلح الدور لغوياً بأنه الجزء الذي يؤديه الشخص في موقف محدد [٣]، وكذلك هو المركز أو المنصب الذي يحتله الفرد، والذي يحدد واجباته وحقوقه الاجتماعية . [٤].

أما تعريف الدور باصطلاح علم الاجتماع : فقد عرفه بعضهم بأنه السُّلوك المتوقَّع من الفرد في الجماعة ، أو النَّمط الثَّقافيّ المحدِّد لسلوك الفرد الذي يشغل مكانةً معيّنة .

و قيل بأنه نمط السلوك المتوقع من الشخص الذي يشكل وضعاً اجتماعياً معيناً أثناء تفاعله مع الأشخاص الآخرين الذين يشكلون أوضاعاً اجتماعية أخرى داخل النسق .

وقيل بأنه نموذج يرتكز حول بعض الحقوق والواجبات ، ويرتبط بوضع محدد للمكانة داخل جماعة أو موقف اجتماعي معين ، ويتحدد دور الشخص في أي موقف عن طريق مجموعة توقعات يعتنقها الآخرون كما يعتنقها الفرد نفسه .

وقيل بأنه نمط السلوك الذي تنتظره الجماعة و تطلبه من فرد له مركز معين فيها وهو سلوك يميز الفرد عن غيره ممن يشغلون مراكز أخرى .

وقيل بأنه ما يقوم به ويقدمه كل فرد يشغل وظيفة ما أو يحتل وضعا اجتماعيا معينا من وظائف ومهام وسلوك إذا كان عضواً في تنظيم سواء أكان هذا التنظيم إدارياً أو اجتماعياً أو سياسياً أو اقتصادياً، فالفرد في أي منظمة لديه أدوار محدده يجب عليه أن يقوم بها.

وهذه التعاريف الاصطلاحية وإن اختلفت في الألفاظ إلا أنها تصب في معنى واحد وهو تقديم فرد أو أشخاص مهمة أو خدمة معينة للمجتمع الذي يربطهم معاً . [٥]

المطلب الثاني : التعريف بالإمام محمد الباقر عليه السلام .

إن كان الإمام غنيّاً عن التعريف فكلهم يعرفه المؤالف والمخالف [٦]، والخاصة والعامة ، والشيعة والسنة ، لكن هذا لا يمنعنا من التبرك بشيء من سيرته العطرة والمرور على نبذة من حياته الطيبة .

ولد الإمام الباقر عليه السلام بالمدينة المنورة سنة سبع وخمسين من الهجرة النبوية ، وكان أول مولود اجتمع بنسبه الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام ، لأن أمه هي فاطمة أم عبد الله بنت الحسن بن علي ، فهو هاشمي من هاشميين ، وأول علوي من علويين ، وأول فاطمي من فاطميين . أقام مع جده الإمام الحسين عليه السلام ثلاث سنين أو أربع وحضر واقعة كربلاء ؛ كما عاش مع أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام أربعاً وثلاثين سنة وعشرة أشهر ، أو تسعاً وثلاثين سنة ، وبعد أبيه تسع عشر سنة [٧] . قُبض بالمدينة في ذي الحجة سنة أربع عشرة ومائة ، وله يومئذ سبع وخمسون سنة مثل عمر أبيه وجده .

وهو ربيب مدرسة أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام ، وجامع علومه ، ووارث فضائله ومكارمه ، وقد قام بدوره بحمل عبء الإمامة الدينية والزعامة العلمية في عصره ، فاجتذب إلى مدرسته الصديق والمعاند ، والمحب والمبغض ، واعترفوا جميعاً بفضله وعلمه .

وسئل جابر الجعفي : (لِمَ سُمي الباقر باقراً ؟) قال : (لأنه بقر العلم بقرا ، أي شقه شقاً، وأظهره إظهاراً) [٨] ولم يكن اهتمامه منصباً على الفقه وعلوم القرآن فحسب ، بل تعداهما إلى علوم أخرى كالحكمة والتاريخ والاقتصاد والكيمياء واللغات وغيرها مما نرى أخباره أو إشارات عنه في تاريخ حياة الإمام ، وفي طيات كتب السير والحديث .

وقد قيل إنه لم يظهر من أحد من أولاد الحسن والحسين عليهما السلام من العلوم ما ظهر منه من التفسير والكلام والفُتيا. قال محمد بن مسلم : (سألته عن ثلاثين ألف حديث ، وقد روى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين ورؤساء فقهاء المسلمين) [٩] . ووفد إليه كل طالب علم، واستقى من منهله العذب كل متعطش لمعرفة الحقيقة . فهذا الدهري يسأله تارة ، وهذا الخارجي يجادله أخرى ، وهؤلاء أئمة المذاهب يأخذون عنه ويعترفون بعلمه وفضله وزهده .

وفي (حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني) : قال عبد الله بن عطاء المكي : (ما رأينا العلماء عند أحد أصغر منهم عند أبي جعفر ، يعني الباقر ﷺ ولقد رأيت الحكم بن عيينة مع جلالته وسنه عنده ، كأنه صبي بين يدي معلّم يتعلم منه) .

عن أبي القاسم اللالكائي في (شرح حجج أهل السنة) : قال أبو حنيفة لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ﷺ : (أأجلس) وكان أبو جعفر قاعداً في المسجد ، فقال أبو جعفر : (أنت رجل مشهور ولا أحب أن تجلس إليّ). قال : (فلم يلتفت إلى أبي جعفر وجلس ...) . [١٠] .

وأما عن زهده وورعه وعبادته فحدّث ولا حرج، فهو ربيب الإمام زين العابدين علي بن الحسين ﷺ . في (الكافي) : عن ابن القداح عن أبي عبد الله جعفر ﷺ قال : كان أبي ﷺ كثير الذكر ، لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله ، وآكل معه الطعام وإنه ليذكر الله ، ولقد كان يحدّث القوم ، وما يشغله ذلك عن ذكر الله . وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول : لا إله إلا الله ، ولقد كان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا ، كان لا يقرأ منا أمره بالذكر . [١١].

المطلب الثالث : تعريف الإنعاش لغة و اصطلاحاً .

الإنعاش لغةً : انْتَعَشَ: ارتفع. والانْتِعاشُ: رَفْعُ الرأْس . والنعش: الرفع . ونعشت فلانا إذا جبرته بعد فقر أو رفعته بعد عثرة. [١٢] . نَعْشٌ. "نَعَشَ الشَّيْءَ" : أَنْهَضَهُ، أَقَامَهُ. "نَعَشَ الرَّبِيعُ أَهْلَ القَرْيَةِ" : أَعَاشَهُمْ وَأَخْصَبَهُمْ. "نَعَشَ الشَّجَرَةَ" : أَقَامَهَا بَعْدَمَا كَانَتْ مَائِلَةً. "نَعَشَ صَاحِبَهُ» : تَدَارَكَهُ، أَعَانَهُ، جَبَرَهُ. . [١٣]

أما الإنعاش الاقتصادي اصطلاحاً : فهو مرحلة من مراحل دورة الأعمال في أعقاب الركود الاقتصادي [١٤] ومن خلاله يستعيد ويتجاوز الاقتصاد ذروة العمل والرجوع إلى مستويات الإنتاج قبل ازمة الركود. [١٥] .

المطلب الرابع : تعريف الاقتصاد لغةً واصطلاحاً .

أما تعريف الاقتصاد لغةً : كما جاء في لسان العرب : القصد استقامة الطريق ، والقصد العدل ، والقصد في الشيء خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير ، والقصد في المعيشة

ألا يسرف ولا يقتر .هو التوسط بين الإسراف والتقتير . يقال فلان مُقْتِصدٌ في النفقة .

وقيل ان الاقتصاد لغةً هو التوفير ، ويطلق على خصوص المال أيضاً .

وأما تعريف الاقتصاد اصطلاحاً : هو علم من العلوم الاجتماعية الذي يدرس السلوك البشري والرفاهية كعلاقة بين المقاصد والأهداف التي لها استعمالات بديلة ، وبين الموارد المتاحة المحدودة والنادرة .

وعرفه (ليونيل روبنز) في مقالة نشرها عام ١٩٣٢م حيث قال : (الاقتصاد هو علم يهتم بدراسة السلوك الإنساني كعلاقة بين الغايات والموارد النادرة ذات الاستعمالات المتعددة) . والندرة : تعني عدم كفاية الموارد المتاحة لإشباع جميع الاحتياجات والرغبات الإنسانية . وغالباً ما يشار إلى الندرة بأنها (المشكلة الاقتصادية) .

وأما تعريف الاقتصاد الإسلامي : فهو أسلوب اقتصاديّ مُعتَمِد على الإسلام في استعمال الموارد من أجل توفير حاجات الناس .

ويُعرف نظام الاقتصاد الإسلاميّ أيضاً بأنّه نظام مُرتبط بالعقيدة والأخلاق الإسلاميّة ، يحتوي على مجموعة من الإرشادات التي تسهم في التحكّم بالسلوك الاقتصاديّ؛ وتحديداً في مجالات الادّخار والإنفاق .[١٦]

ومن التعريفات الأخرى لنظام الاقتصاد الإسلاميّ أنّه مجموعة القواعد التي تعتمد على أصول العقيدة الإسلاميّة ؛ وهي القرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة والاجتهاد الفقهيّ ، وتهتم جميعها في مُتابعة الأعمال الاقتصاديّة ضمن البيئة الاجتماعيّة . [١٧] .

المطلب الخامس : تعريف الدولة والفرد لغةً واصطلاحاً .

المقام ١ – تعريف الدولة والفرد لغةً واصطلاحاً .

ويمكننا الاستغناء عن تعريف الفرد لأن معناه قد يكون واضحاً ولا يحتاج إلى تعريف ونكتفي بتعريف الدولة التي يكون الفرد ركناً أساسياً فيها .

أما تعريف الدولة لغةً فجاء في لسان العرب حول كلمة (الدُّولة) (بضم الدال) "اسم الشيء الذي يتداول، والدَّول (بفتح الدال) الفعل والانتقال من حال إلى حال، ويشير أيضاً إلى

الإدالة والغلبة؛ مثلاً: وأدلنا الله من عدونا، من الدولة: يقال: اللهم أدلني على فلان وانصرني عليه، وفي الحديث تُدال عليهم، ويُدالون علينا؛ الإدالة: الغلبة، والدَّولة الإنتقال من حال الشدة إلى الرخاء، ودالت الأيام، أي دارت، والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي؛ أخذته هذه المرة وهذه المرة [١٨]، وقد ورد لفظ الدولة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ [١٩].

وبذلك فإن (الدولة) في العربية تشير إلى الغلبة، والاستيلاء، والشيء المتداول فيكون مرة لهذا ومرة لذاك، والدولة في الحرب بين الفئتين أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى أي أن تهزم هذه مرة، وهذه مرة، ودالت الأيام دارت، والله يداولها بين الناس، ودال الدهر انتقل من حال إلى حال [٢٠]. ويعني هذا أن تعبير الدولة في اللغة العربية يدل على عدم الاستقرار والتغيير.

اما تعريف الدولة اصطلاحاً: القانونيون يعرفون الدولة بصورة عامة بأنها "مجموعة من الأفراد، يقيمون بصفة دائمة في إقليم معين، تسيطر عليهم هيئة حاكمة ذات سيادة، أو أنها عبارة عن مجموعة دائمة ومستقلة من الأفراد يملكون إقليماً معيناً، وتربطهم رابطة سياسية مصدرها الاشتراك في الخضوع لسلطة مركزية تكفل لكل فرد منهم التمتع بحريته ومباشرة حقوقه، وقال بعضهم إن الدولة يجب أن تكون مستقلة وذات سيادة حتى يُعتَرف بها كدولة "[٢١].

المقام ٢ – أركان الدولة: تتكون الدولة من أربعة أركان رئيسية وأساسية هي:

أ – الركن البشري وهو الشعب: وهم مجموعة من الأفراد الذين تتكون منهم الدولة.

ب – الركن الطبيعي وهو الإقليم: وهو الأرض والماء والسماء (الجو).

ج – الركن الشرفي وهو الحكومة.

د – الركن المعنوي وهو السيادة. [٢٢]

المبحث الثاني: المشكلة الاقتصادية وطرق حلها.

المطلب الأول: التعرف على بعض أنواع المشاكل الاقتصادية.

قبل الخوض في الحلول الاقتصادية التي تطرحها الأنظمة الاشتراكية أو الرأسمالية أو

الإسلامية التي قدمت نفسها على أنها المنقذ والمخلص من الأزمات والمشاكل الاقتصادية لابد أن نتعرف أولاً على بعض المشاكل الاقتصادية ثم نستعرض الحلول المناسبة عند كل نظام ، فالحل هو فرع وجود مشكلة ويمكن بيان أسباب وأنواع المشاكل الاقتصادية فنقول :

المشاكل الاقتصادية كثيرة ويمكننا أن نذكر ونعدد أهمها وأبرزها بالنقاط التالية :

١ – الفساد الحكومي السياسي : يعتبر الفساد الحكومي من أهم المشاكل التي تنخر جسد الاقتصاد الوطني و تعمل على إضعافه بشكل كبير، ويؤدي أيضاً إلى حصر الأموال بالطبقة الحاكمة فقط .

٢ – سوء تخطيط و توزيع الدولة للموارد الاقتصادية – العمل ، والموارد الطبيعية ، ورأس المال – كوضعها في غير الموضع المناسب .

٣ – الفساد الإداري : وهو سرقة أموال الدولة أو أخذ الموظفين الرشوة من المواطنين .

٤ – انتشار البطالة وهي عدم العثور على العمل ممن يبحث عليه هو أهل له .

٥ – انتشار الفقر وكثرة الفقراء . ومن أحد أسباب الفقر هو تكاسل الفقير وعجزه عن العمل .[٢٣]

٦ – إفلاس الدولة بسبب القروض الكثيرة المتراكمة من البنك الدولي التي لا يوجد من يسددها.

٧–حدوث الحروب العسكرية : والمتمثل باحتلال دولة قوية لدولة أخرى ضعيفة احتلالاً عسكرياً.

٨ – حدوث الحروب الاقتصادية : هي حروب من غير نار و ليست حروباً عسكرية بل تكون حروباً استنزافية لقدرة وموارد دولة معينة ، وتختلف الأسلحة المستعملة فيها ومنها : السيطرة على السلع والبضائع في الأسواق واحتكارها وإضعاف الإنتاج الصناعي مما يؤدي إلى الغلاء وسوء المعيشة .

ومنها مقاطعة سلع ومنتجات دولة معينة ، أو إقامة الحصار الاقتصادي بمنع دخول أو خروج السلع من منافذ المنطقة المحاصرة ، وهذا الأسلوب من أكثر أسلحة الحرب الاقتصادية تأثيرا على الشعوب نظرا لما قد يسببه من نقص بالسلع والمواد الأساسية و بخاصة الغذاء والدواء.

ومنهـا افتعـال الـدول العظمـى للأزمـات الاقتصاديـة للـدول الأخـرى التـي تعـاني مـن اقتصاديـات هشـة وضعيفـة وهـي تعتـبر أخطـر أنـواع الحـروب الاقتصاديـة وأشـدها فتـكا فهـي غالبـاً مـا تدمـر الاقتصـاد العـام للدولـة وتقـضي عـلى مقدراتهـا ومدخـرات شـعوبها وهـو مـا يجـبر الـدول عـلى طلـب المعونـات والمسـاعدات الخارجيـة والتـي بدورهـا تتـم عـبر شروط وإجـراءات محـددة . (٢٤).

المطلب الثاني : حل المشاكل الاقتصادية في النظام الاقتصادي الاشتراكي الماركسي .

والكلام في هذا المطلب يقع في مقامين :

المقام الأول : أهم القواعد والأسس التي يبتني عليها هذا النظام وهي :

١ – الملكية العامة الاشتراكية لجميع أفراد الشعب .

٢ – عدم الاعتراف بحافز الرِّبح بل غرض هذا النظام وهدفه هو إشباع الحاجات العامَّة.

٣ – يقوم التَّخطيط في النِّظام الاشتراكيِّ على مبدأ مركزيَّة التَّخطيط .

المقام الثاني : أهمِّ العيوب التي لوحظت في النظام الاشتراكي الماركسي وهي :

١ – ضعـف الحَافز لإنجـاز الأعـمال المختلفـة : فحرمـان الأفـراد مـن حـق الملكيـة الخاصـة أمـر يتنـافى مـع الفطـرة والطبيعـة البشريـة ، فحـق الملكيـة الفرديـة إذا منـع؛ فـلا مـكان للحافـز عـلى الإنتـاج، أو الحافـز عـلى الابتـكار والتجديـد

٢ – انخفـاض إنتاجيـة العـمال : فالعامـل عندمـا لا يجـد نظامـا فعـلا للحوافـز، فـكل عامـل يتسـلم أجـرا محـددا بغـض النظـر عـن إنتاجيتـه، وفقـا لقاعـدة : «مـن كل فـرد حسـب قدرتـه، ولـكل حسـب حاجتـه».

٣ – قلة الكفاءة الاقتصادية والإنتاجية في تخصيص الموارد، وسيادة التَّعْقِيدِ وَالبَيْرُوقْرَاطِيَّةِ:

فتركُّـزُ السُّـلطةِ في يـد مجموعـة قليلـة مـن صانعـي القـرار حَـالَ دُونَ تَحْقِيـقِ الكفـاءة الاقتصاديَّـة والإنتاجيَّـة في تخصيـص المـوارد، وسـيادة التَّعقيـد والبيروقراطيَّـة.

٤ – عَـدَمُ تَحْقِيـقِ الكِفَايَـةِ وَالعَـدْلِ : لقـد عجـزت الاشـتراكيَّة الماركسيَّة «عـن تحقيـق الكفـاءة الإنتاجيَّـة والاقتصاديَّـة، والعدالـة، والرَّفاهيـة لشـعوبها، بـل قهـرت حرِّيَّـة الأفـراد، وأبـادت أصولهم

بل وأرواحهم، وأصبحت العدالة في التَّوزيع أمرًا يستحيل تواجده، وحلَّ محلَّها الاستغلال» [٢٥] .

٥ – وقوفه بالنسبة للأغنياء موقف الكراهية ، وتغذية الصراع ضدهم .

المطلب الثالث : حل المشاكل الاقتصادية في النظام الاقتصادي الرأسمالي .

والكلام في هذا المطلب يقع في ثلاثة مقامات :

المقام الأول : أهم القواعد والأسس التي يبتني عليها هذا النظام وهي :

١ – الملكية الفردية .

٢ – الحرية الاقتصادية .

٣ – نظام السوق .

٤ – حافز الربح .

٥ – المنافسة .

المقام الثاني : من مزايا وإيجابيات النظام الرأسمالي :

يفسح النظام الرأسمالي المجال أمام المنافسة الحرة لكي تقوم بدورها في ازدهار المجتمعات وتقدمها وتحقيق مصالح المنتجين والمستهلكين على السواء، كما يتميز بإمكانية تحقيق التوازن الاقتصادي بطريقة آلية من خلال قوى السوق دون تدخل الدولة كما أنه ساعد على انتشار روح التجديد والابتكار في المجالات الإنتاجية المتعددة .

المقام الثالث : أهمُّ العيوب التي لوحظت في النظام الرأسمالي وهي :

١ – عدم المبالاة بالفقراء من الناس وتركيز اهتمامه بالأغنياء فقط .

٢ – سوء توزيع الدخول والثروات .

٣ – سوء تخصيص الموارد الاقتصادية .

٤ – الاحتكار والبطالة .

٥ – التقلبات الاقتصادية .

٦ – تشجيع خلق الندرة وبطالة موارد الثروة .

المطلب الرابع : حل المشاكل الاقتصادية في النظام الاقتصادي الإسلامي .

لا يشبه النظام الإسلامي الأنظمة السابقة في كيفية علاجه للمشاكل الاقتصادية ، بل له طريقته الخاصة وقوانينه وضوابطه وأركانه الأساسية الفريدة التي يعتمد عليها في الحل والعلاج للمشاكل الاقتصادية وهما العقيدة والأخلاق .

فيحافظ على القيم الأخلاقية الإسلامية والصفات الحميدة، وهي الصدق، والأمانة، ومراعاة الحلال في كافّة الأنشطة الاقتصاديّة.

فلا يهتم الاقتصاد الإسلامي بالأمور المالية والمادية فقط ، بل يهتم بالجوانب الأخلاقية والروحيّة التي تسهم في تحقيق كافة الحاجات الخاصة للناس .

وقد اهتم الإسلام بتنظيم العلاقات والأمور الاقتصادية مثلها مثل أي أمور حياتية أخرى .

وغالباً – ان لم يكن دائماً – ما يتخذ النظام الإسلامي الوسطية وعدم الإفراط أو التفريط في خطواته ، فيسهم – من الناحية الاقتصادية – بالتمييز بين الأملاك الخاصة بالأفراد والأملاك العامة التي يشترك فيها الجميع وتعدُّ ملكاً للمجتمع ، فيقر بضرورة المحافظة على حقوق أصحاب الأملاك الشخصية وعدم الاعتداء عليها .

وقد اهتم المسلمون ايضاً في مواجهة المشكلات الاقتصادية المستحدثة عن طريق البحث على حلولها لتوجيهها بالشكل الصحيح.

ويقوم النظام الاقتصادي الإسلامي على الأسس التالية :

١ – الدمج والجمع بين الملكيتين الخاصة والعامة ، مع تنظيم وتحديد أوجه كل منها وفق قيود تتماشى مع الشريعة الإسلامية السمحاء .

٢ – الحرية الاقتصادية ، مع قيود أن تكون مشروعة وحلال. فيحق للإنسان المسلم التملك ضمن حدود الشريعة الإسلامية، وعليه أن يحافظ على أملاكه من خلال استعمالها بطريقة عادلة وبعيدة عن ضررها أو إهدارها ، كما يحق له ممارسة الأنشطة الاقتصاديّة التي يريدها طالما أنها لا تتعارض أو تخالف مبادئ الشريعة الإسلامية فالاقتصاد هو جزء من الدين الإسلامي الحنيف بل هو عبادة تعامليه مع الناس مشروطة بألا تكذب، ألا تغش،

ألا تدلس، ألا ترفع السعر، ألا تستغل، ألا ترابي، ألا تحتكر، ألا تزين السلعة بما ليس فيها، وهكذا ،فأكثر من مئة معصية سببها البيع والشراء على غير الوجه المطلوب شرعاً .

٣ – تفعيل التكافل الاجتماعي بين الناس ، كإخراج الخمس والزكاة والصدقات الواجبة والمستحبة التي تساعد في الحد من الفقر والبطالة ومساعدة الأيتام ، كما يحصل التكافل الاجتماعي بتبادل المنافع بين الناس . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .[٢٦].

٤ – تحديد حقوق وواجبات كل من الغني والفقير ، فلا يترك أحدهما على حساب الأخر كما في النظامين الاشتراكي والرأسمالي .

المبحث الثالث : إثبات دور الإمام الباقر عليه السلام في إنعاش اقتصاد الدولة والفرد .

المطلب الأول : موقع الإمام الباقر عليه السلام من الإسلام وأنه أحد أئمته الكبار وأحد أركانه .

يمكن الاستدلال على تمثيل الإمام الباقر عليه السلام للإسلام وكونه أحد أئمة و أعمدة الدين الإسلامي الحنيف وأحد علمائه الكبار بالأدلة التالية :

الدليل –١ – روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما أنزل الله تعالى على نبيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ ﴾ .[٢٧] قلت: يا رسول الله قد عرفنا الله ورسوله فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعته؟ فقال: هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين بعدي، أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف بالتوراة بالباقر وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرأه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميي وكنيي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده محمد بن الحسن بن علي عليهم السلام، ذلك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان.

قال جابر: فقلت: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال: إي والذي بعثني بالنبوة، إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلاها سحاب، يا جابر: هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه إلا عن أهله، الحديث . (٢٨) .

فبهذه الرواية نثبت أن الإمام الباقر عليه السلام هو إمام من أئمة الإسلام وليس إماماً للشيعة فقط كما يتوهم بعضهم.

الدليل -٢- روي عن أبي عبد الله (الصادق) ، أنه قال: (إن الله افترض على أمة محمد خمس فرائض: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وولايتنا، فرخص لهم في أشياء من الفرائض الأربعة، ولم يرخص لأحد من المسلمين في ترك ولايتنا، لا والله ما فيها رخصة) . (٢٩) .

وروي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام انه قال : (بني الإسلام على خمس ؛ على الصلاة والزكاة، والحج، والصوم، والولاية ولم ينادِ بشيء كما نودي بالولاية) . (٣٠) .

ومن تفرض ولايتهم على جميع أمة محمد صلى الله عليه وآله ومن يبنى الإسلام عليهم لابد أن يكونوا أئمة للمسلمين قاطبة و يقف الإسلام عزيزاً بوجودهم . وهم الأئمة المعصومين سلام الله تعالى عليهم أجمعين .

الدليل -٣- اعتراف علماء أبناء العامة من أهل الخلاف بأن الإمام الباقر عليه السلام هو أحد أئمة الإسلام والمسلمين ومنهم :

١ - قال أبو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٠ هـ) عن مكانة الإمام عليه السلام : (... وهو سيّد فقهاء الحجاز ، ومنه ومن ابنه جعفر تعلّم الناس الفقه، وهو الملقَّب بالباقر، باقر العلم، لقّبه به رسول الله صلى الله عليه وآله . (٣١) . وقال بنفس قوله ابن أبي الحديد المعتزلي .

٢ - قال الفخر الرازي (ت ٦٠٤ هـ) في تفسيره إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ يذكر أقوالاً في معنى الكوثر، إلى أن يقول : (... والقول الثالث: الكوثر أولاده ... فالمعنى أنّه يعطيه نسلاً يبقون على مرّ الزمان، فانظر كم قُتِل من أهل البيت، ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أميّة في الدنيا أحدٌ يُعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء، كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام). (٣٢) .

٣ – قال محيي الدين النووي (ت ٦٧٦ هـ) عن الإمام الباقر ﷺ : (... هو تابعيٌ جليل، إمامٌ بارع، مُجمَعٌ على جلالته، معدودٌ في فقهاء المدينة وأئمّتهم). [٣٣] .

٤ – قال ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) عنه ﷺ : (... وهو محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبو جعفر الباقر، وهو تابعيٌ جليلٌ، كبيرُ القدر كثيراً، أحدُ أعلام هذه الأمّة عِلماً وعَملاً وسيادةً وشرفاً) . [٣٤] .

٥ – قال ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ) : (أبو جعفر محمّد الباقر .. أظهر من مخبئات كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلا على مُنطمِسِ البصيرة أو فاسدِ السريرة .. وله من الرسوخ في مقامات العارفين ما تَكِلُّ عنه ألسنةُ الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف) . [٣٥] .

ونكتفي بهذا القدر من الأقوال التي تصلح للاستدلال على ارتباط الإمام الباقر ﷺ بالإسلام حتى عُدَّ إماماً للمسلمين بحيث شهد له المؤالف و المخالف بذلك ، وشمائلُ شهدَ العدوُّ بفضلها ... والفضلُ ما شهدت به الأعداء .

وبعد إثبات أن الإمام الباقر ﷺ هو إمام من أئمة الإسلام ، نثبت الأن دوره المبارك في زمانه بإنعاش الاقتصاد وحل المشاكل الاقتصادية للدولة الإسلامية وللفرد المسلم ، فيكون الحديث في مقامين :

المطلب الثاني : دور الإمام الباقر ﷺ في إنعاش اقتصاد الدولة الإسلامية / القضاء على التدخل الخارجي العابث باقتصاد الدول الإسلامية أنموذجاً .

الإمام الباقر ﷺ و فضله في تحرير النقد الإسلامي من تبعية الروم المسيحيين .

تقدم في المبحث الثاني وبالتحديد في النقطة الثامنة أن من أهم أنواع وأسباب المشاكل الاقتصادية و أخطرها على كيان الدولة هو الحرب الاقتصادية التي تستنزف طاقات وموارد البلاد حتى تسلب منها جميع الخيرات وتبقيها شبه صريعة بل ميتة وهالكة .

وقد حدثت هذه الحرب الاقتصادية في زمن الإمام أبو جعفر الباقر ﷺ إلا أن الإمام أفشل هذه الحرب بحكمته وعلمه وانتصر في هذه الحرب على الروم المسيحيين وأعز الدولة الإسلامية بتحريره النقد من التبعية للإمبراطورية الرومية ، حيث كان النقد يصنع حصراً

في بلاد الروم ويحمل شعار الروم النّصارى وهو شعار الكفر بالله سبحانه وتعالى ، وقد قام الإمام الباقر ﷺ بذكائه وحنكته وعلمه وبتسديد الله عز وجل له بابتكار صناعة النقد من المسكوكات الفضية والذهبية في الدولة الإسلامية لكي يحمل شعار الدولة الإسلامية وليكون مستقلاً عن حاجة المسلمين للتعامل بالنقد الرومي المسيحي مما يؤدي إلى التحرر من التضييق الاقتصادي الخارجي الخانق باقتصاد الدول الإسلامية .

أما تفصيل هذا الحدث التاريخي العظيم فكالتالي : (جاء في الخبر أن عبد الملك بن مروان نظر إلى قرطاس قد طرز بمصر فأمر بترجمته إلى العربية، فترجم له، وقد كتب عليه الشعار المسيحي الأب والابن والروح فأنكر ذلك ، وكتب إلى عامله على مصر عبدالعزيز بن مروان بإبطال ذلك وأن يحمل المطرزين للثياب والقراطيس وغيرها على أن يطرزوها بشعار التوحيد، ويكتبوا عليها : (شهد الله أنه لا إله إلاّ هو) وكتب إلى عمّاله في جميع الآفاق بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المطرزة بطراز الروم، ومعاقبة من وجد عنده شيء بعد هذا النهي.

وقام المطرزون بكتابة ذلك، فانتشرت في الآفاق ، وحملت إلى الروم ولما علم ملك الروم بذلك انتفخت أوداجه، واستشاط غيظاً وغضباً فكتب الى عبدالملك أن عمل القراطيس بمصر، وسائر ما يطرز إنما يطرز بطراز الروم الى أن أبطلته، فإن كان من تقدمك من الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت، وإن كنت قد أصبت فقد أخطأوا، فاختر من هاتين الحالتين أيهما شئت وأحببت، وقد بعثت إليك بهدية تشبه محلك، وأحببت أن تجعل رد ذلك الطراز إلى ما كان عليه في جميع ما كان يطرز من أصناف الاعلاق حالة أشكرك عليها وتأمر بقبضة الهدية.

ولما قرأ عبدالملك الرسالة أعلم الرسول أنه لا جواب له عنده كما رد الهدية، وقفل الرسول راجعاً الى ملك الروم فأخبره الخبر، فضاعف الهدية وكتب إليه ثانياً يطلب بإعادة ما نسخه من الشعار، ولما انتهى الرسول إلى عبدالملك ردّه، مع هديته، وظل مصمماً على فكرته ، فمضى الرسول الى ملك الروم وعرفه بالأمر، فكتب إلى عبدالملك يتهدده ويتوعده وقد جاء في رسالته :

(إنك قد استخففت بجوابي وهديتي، ولم تسعفني بحاجتي فتوهمتك استقللت الهدية فأضعفتها، فجريت على سبيلك الأول وقد أضعفتها ثالثة وأنا أحلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز إلى ما كان عليه أو لآمرن بنقش الدنانير والدراهم ، فإنك تعلم أنه لا ينقش شيء منها إلاّ ما ينقش في بلادي، ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في الإسلام ، فينقش عليها شتم نبيّك، فإذا قرأته ارفضّ جبينك عرقاً، فأحب أن تقبل هديتي، وترد الطراز إلى ما كان عليه، ويكون فعل ذلك هدية تودني بها، وتبقى الحال بيني وبينك...) .

ولما قرأ عبد الملك كتابه ضاقت عليه الأرض، وحار كيف يصنع، وراح يقول: أحسبني أشأم مولود في الإسلام، لأني جنيت على رسول الله صلى الله عليه وآله من شتم هذا الكافر، وسيبقى عليَّ هذا العار إلى آخر الدنيا فإن النقد الذي توعدني به ملك الروم إذا طبع سوف يتناول في جميع أنحاء العالم .

وجمع عبدالملك الناس، وعرض عليهم الأمر فلم يجد عند أحد رأياً حاسماً، وأشار عليه روح بن زنباع، فقال له : إنّك لتعلم المخرج من هذا الأمر، ولكنك تتعمد تركه، فأنكر عليه عبد الملك وقال له : ويحك! من ؟ فقال له : عليك بالباقر من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله .

فأذعن عبدالملك، وصدقه على رأيه، وعرفه أنه غاب عليه الأمر، وكتب من فوره الى عامله على يثرب يأمره بإشخاص الإمام وأن يقوم برعايته والاحتفاء به، وأن يجهزه بمائة ألف درهم، وثلاثمائة ألف درهم لنفقته ، ولما انتهى الكتاب إلى العامل قام بما عهد إليه، وخرج الإمام من يثرب إلى دمشق فلما سار إليها استقبله عبد الملك، واحتفى به وعرض عليه الأمر فقال عليه السلام :

(لا يعظم هذا عليك فإنه ليس بشيء من جهتين : إحداهما إن الله عزّ وجلّ لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم في رسول الله صلى الله عليه وآله والأُخرى وجود الحيلة فيه) .

فقال : ماهي ؟

قال عليه السلام : تدعو في هذه الساعة بصناع فيضربون بين يديك سككاً للدراهم والدنانير، وتجعل النقش صورة التوحيد وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله أحدهما في وجه الدرهم، والآخر في الوجه الثاني، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنّة التي

يضرب فيها، وتعمد إلى وزن ثلاثين درهماً عدداً من الأصناف الثلاثة إلى العشرة منها وزن عشرة مثاقيل، وعشرة منها وزن ستة مثاقيل، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل، فتكون أوزانها جميعاً واحداً وعشرين مثقالاً، فتجزئها من الثلاثين فيصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل، وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان، فتضرب الدراهم على وزن عشرة ، والدنانير على وزن سبعة مثاقيل... وأمره بضرب السكة على هذا اللون في جميع مناطق العالم الإسلامي، وأن يكون التعامل بها، وتلغى السكة الأُولى ، ويعاقب بأشد العقوبة من يتعامل بها ، وترجع إلى المعامل الإسلامية لتصب ثانياً على الوجه الإسلامي.

وامتثل عبد الملك ذلك، فضرب السكة حسبما رآه الإمام ﷺ ولما فهم ملك الروم ذلك سقط ما في يده، وخاب سعيه، وظل التعامل بالسكة التي صممها الإمام الباقر ﷺ حتى في زمان العباسيين . (٣٦) .

وذكر ابن كثير أن الذي قام بهذه العملية الإمام زين العابدين ﷺ . (٣٧) . ولا مانع من أن يكون الإمام زين العابدين قد نفّذ الخطة بواسطة ابنه محمد الباقر ﷺ .

وعلى أي حال فإن العالم الإسلامي مدين للإمام أبي جعفر الباقر ﷺ بما أسداه إليه من الفضل بإنقاذ النقود من تبعية الروم المسيحيين .

المطلب الثالث : دور الإمام الباقر ﷺ في إنعاش اقتصاد الفرد المسلم / القضاء على البطالة أنموذجاً .

ويكون الحديث في هذا المطلب في مقامين :

المقام الأول : في بيان مفهوم البطالة وأنواعها وأسبابها وآثارها السلبية في الدولة والمجتمع والفرد وطرق علاجها .

المقام الثاني : دور الإمام الباقر ﷺ في القضاء على البطالة .

المقام الأول : في بيان مفهوم البطالة وأنواعها وأسبابها وآثارها السلبية في الدولة والمجتمع والفرد وطرق علاجها .

لقد حث الله سبحانه و تعالى في كتابه الحكيم القرآن الكريم على السعي والبحث عن العمل وطلب الرزق الحلال ، فقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ . (٣٨) . وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ ﴾ . (٣٩) . وقال تعالى : ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ . (٤٠) .

كما حث النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله على ذلك أيضاً ونهى عن الطلب والسؤال من الناس مع القدرة على العمل ، فروي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال : (لو أن أحدكم يأخذ حبلا فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل) . (٤١) .

وقد تقدم في النقطة الأولى من المقصد الثاني أن من أهم أنواع المشاكل الاقتصادية المتفشية في أغلب بلدان العالم الإسلامي وغير الإسلامي قديماً وحديثاً هي مشكلة البطالة التي هي من الأمور التي تقابل العمل وتقف معه موقف الضد تماماً .

وقبل أن نبين ما هو دور الإمام الباقر عليه السلام في حل هذه المشكلة نتعرف قليلاً على مفهوم البطالة وأنواعها وأسبابها وأثارها السلبية على الدولة والمجتمع والفرد وطرق علاجها ، ثم نبين كيف عالجها الإمام الباقر عليه السلام وقضى عليها .

أولاً – مفهوم البطالة : البطالة هي عبارة عن مفهوم أو مصطلح يطلق على مجموعة من الأفراد الذين لهم كفاءات للعمل في مهنة معينة لكنهم وبحثوا عن العمل ولم يجدوا فرصة عمل مناسبة في المجتمع الذي يعيشون فيه ، وبالتالي فإنّ هؤلاء الأفراد لا يمتلكون موردا أو رزقا يجعلهم يلبون حاجاتهم الشخصية بجميع أشكالها .

ثانياً – أنواع البطالة : للبطالة عدة تقسيمات نبين أبرزها :

١ – البطالة الإجبارية : وتسمى أيضاً بالبطالة الاضطرارية وهي البطالة التي تقدم معناها في التعريف .

٢ – البطالة الاختيارية : وتسمى أيضاً ببطالة الكسول وهي قدرة الإنسان على العمل مع توفر العمل لكنه يترك العمل طلباً لراحته و تعاجزه عن العمل . روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : (لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي ولا لمحترف ولا لقوي . قلنا : وما معنى هذا ؟ قال : لا يحل له أن يأخذها وهو يقدر على أن يكف نفسه عنها) . [٤٢] . فمساعدة مثل هؤلاء يزيد من البطالة لأنه يعدُّ إهداراً للأموال في غير محلها .

٣ – البطالة التعبدية : هي البطالة الناتجة عن الفهم الخاطئ لمبادئ الدين الإسلامي الحنيف ، فيترك الإنسان العمل مع قدرته عليه بدعوى التفرغ للعبادة ، وقد صححت الشريعة الغراء تلك المفاهيم الخاطئة وبينت أن العمل والعبادة في الإسلام لا يفترقان أبداً، ولا يتعارضان، بل إن كليهما يستدعي الآخر و يتطلبه، لأن العبادة عمل والعمل عبادة .

ثالثاً – أسباب البطالة :

١ – الأسباب السياسيّة وهي :

كثرة انتشار الحروب التي تؤثّر في المجتمعات بشكلٍ عام، وكثرة الصراعات الداخليّة في المجتمع الواحد.

تقصير الحكومات الدوليّة، وعدم تقديمها الدعم الكافي لقطاع الأعمال.

ضعف تأثير التنمية البشريّة في الوضع الاقتصادي وبشكلٍ خاص في المجتمعات النامية.

٢ – الأسباب الاقتصادية وهي :

كثرة الموظفين، وازدياد نسبة خريجي الجامعات بشكلٍ سنوي، مع قلّة عدد الوظائف المتوفرة، وهذا ما يجعل الحكومة غير قادرة على توفير الوظائف المناسبة لهم، مما يخلق مشكلة حقيقيّة في المجتمع.

الاستقالة من العمل، والبحث عن عمل جديد، وقد يحصل على هذا العمل الجديد خلال فترة قصيرة أو متوسطة أو طويلة، ويُطلق على الفرد في هذه الحالة بالعاطل عن العمل ولكن لفترةٍ مؤقتة.

قيام العديد من الشركات وبشكلٍ خاص الشركات الكبيرة، باستبدال العمال والكادر البشري، بالكمبيوتر وغيرها من الوسائل الإلكترونيّة التي تساعد على إنجاز الأعمال والمهام بوقتٍ أقل وبكمياتٍ أكبر، وهذا ما زاد من حدة انتشار البطالة.

لجوء بعض الشركات والمنظمات إلى استدعاء العمال والموظفين الأجانب للعمل لديها، بدلًا من الاعتماد على العمال المحليين، وذلك لأنّ العمال الأجانب يعملون بكلفةٍ ورواتب أقل من المحليين.

٣ – الأسباب الاجتماعية وهي :

التزايد السريع للسكان، مترافقًا مع قلّة المهن والوظائف، مما يُسهم في انتشار الفقر والبطالة يومًا بعد يوم.

عدم تفعيل دور التنمية الاجتماعيّة المحليّة في المجتمع، والتي تعتمدُ على الاستفادة من التأثيرات الإيجابيّة التي يُقدّمها قطاع الاقتصاد.

عدم الاهتمام بمجال التعليم الذي يهدف إلى نشر التوعية حول المشاكل الاجتماعية المهمة، وسبل القضاء عليها ومعالجتها.

انتشار الإحباط واليأس بين صفوف الشباب، وذلك لفشلهم في الحصول على فرص عمل مناسبة تؤمن لهم حياة كريمة.

غياب التخطيط والدراسات التي تهدف لفتح مشاريع وأفكار استثمارية جديدة، تستوعب أعدادًا كبيرةً من الموظفين، وبالتالي تُسهم في التخفيف من حدة البطالة في المجتمع.

رابعاً – الأثار السلبية للبطالة :

١ – في الدولة : تتسبب البطالة بعدد من الآثار الاقتصادية السلبية على الدولة ، حيث يمكن تلخيص أثرها الاقتصادي على النحو الآتي : منها رفع كلفة الإعانات التي تتكفّل بها الدولة للعاطلين عن العمل . ومنها اضطرار الدولة لاقتراض المزيد من الأموال لدفع الفوائد المتزايدة كنتيجة تعويضيّة . ومنها تقليل الانفاق في منطقة معيّنة مما يعود بأثر سلبي مستقبلاً . ومنها انخفاض نسبةً الناتج المحلي .

٢ – في المجتمع : يؤدي انتشار مشكلة البطالة في البلدان إلى تزايد الرغبة في الهجرة إلى الخارج،

مما يؤدي إلى فرض قيود شديدة عليها من الدولة، كما يؤثر سلباً في العلاقات الاجتماعيّة بين الناس، من حيث تزايد الجرائم نظراً لقلة الوظائف ذات الرواتب المناسبة، والرغبة الملحة في تلبية الاحتياجات المادية مما يدفع إلى السرقة، كما تؤدي البطالة إلى تقليل التوجّه نحو العمل التطوعي بسبب الضغوطات النفسيّة.

٣ – في الفرد : أن الفرد العاطل عن العمل يتوفى أقل بعام من المتوسط العمري لأقرانه إضافةً للمشاكل الصحيّة الأخرى، كما يميل أرباب العمل لتشغيل الأشخاص العاملين والابتعاد عن العاطلين عن العمل لفترات طويلة بسبب احتماليّة فقدانهم لمهاراتهم . أسباب البطالة تعدُّ البطالة أحد المشكلات الشائعة، والتي يمكن تعريفها أنها عدم ممارسة العمل، إما بسبب التسريح من عمل سابق، أو بسبب انتظار شغل وظيفة أخرى، أو للباحثين عن فرص عمل، حيث يوجد عدد من الأسباب الكامنة وراء هذه المشكلة منها : الركود الاقتصادي، مما يدفع الشركات نحو تقليل التكاليف العامة لديها، وخفض الرواتب، وربما تسريح الموظفين. التكنولوجيا المتقدّمة، وظهورها كشركات منافسة، وذلك باستبدال الأيدي العاملة بالأجهزة التكنولوجية. الاستعانة بأيدي عاملة وموارد بشريّة من الخارج، لشغل الوظائف المحليّة .

خامساً – علاج البطالة :

وعلاج البطالة يكون بالأمور التالية :

١ – الاعتماد على العمالة المحليّة بدلًا من الاعتماد على العمالة الأجنبيّة في مختلف قطاعات الأعمال .

٢ – تشجيع الشباب على تعلّم بعض المهن المهمة التي يحتاج إليها المجتمع وبشكلٍ خاص المهن الحرفيّة كالحدادة، والنجارة، والبناء، وغيرها.

٣ – العمل على دعم المشاريع الصغيرة وتمويلها، عن طريق منح البنوك التجارية لبعض القروض التي تساعدُ الشباب على تأسيس أعمالهم وتطويرها فيما بعد.

٤ – تأهيل الشباب بعد تخرجهم من الجامعة ، وإرشادهم إلى حاجة السوق للتخصصات المختلفة.

٥ – تطوير أساليب وطرق البحث عن فرص عمل جديدة.

٦ – إقامة المشاريع التي توفر فرص عمل للشباب، وعدم الاعتماد على استعمال الآلات فقط.

٧ – إنشاء مراكز متخصصة تعملُ على تنظيم فرص العمل داخل المجتمع.

٨ – التعاون الفعّال بين القطاع العام والقطاع الخاص لتوفير فرص عمل جيدة للشباب.

٩ – تخصيص بعض المكافآت المادية بالأشخاص الذين يعملون في مجال العمل التطوعي، وذلك لتعزيز فكرة العمل التطوعي الذي قد يتم تحويلهُ مع الأيّام إلى عملٍ رسمي.

١٠ – تقديم سن التقاعد في الدولة، وذلك لتوفير أماكن للجيل الجديد.

١١ – التشجيع على فكرة العمل الحر أو العمل من المنزل.

١٢ – تشجيع إنشاء صناديق التكافل الاجتماعي للفئات محدودة الدخل.

١٣ – إيجاد نظام رواتب متوازن مع الوضع الاقتصادي ويأخذ بنظر الاعتبار معدلات التضخم السائدة في الاقتصاد.

١٤ – دعم عملية التعليم المستمر للقوى العاملة، وبخاصة لمن هم دون الشهادة الثانوية.

المقام الثاني : دور الإمام الباقر عليه السلام في القضاء على البطالة .

ويمكن بيان دور الإمام الباقر عليه السلام للقضاء على البطالة بدليلين :

أما الدليل –١– أقوال الإمام الباقر عليه السلام للقضاء على البطالة :

فقد عالج الإمام هذه المشكلة عن طريق مخاطبة الناس وحثهم على العمل و حذرهم من الجلوس وترك العمل والتقاعس عنه ، كما شجع الإمام مسألة التكافل الاجتماعي للطبقات الفقيرة ببذل الخمس والزكاة لهم ودفع الصدقات إليهم ، كما حذر الإمام عليه السلام من ممارسة العمل الحرام بشتى أنواعه وطرقة الشيطانية كالعمل الذي يؤدي إلى البخس في المكيال والميزان ، أو العمل الذي يؤدي إلى الغش ، أو الذي يؤدي إلى ارتكاب المعاملات الربوية والمشبوهة وغيرها .

فقال الإمام الباقر عليه السلام : (من طلب الرزق في الدنيا استعفافاً عن الناس ، وتوسيعاً على أهله ، وتعطفاً على جاره ; لقي الله عزّ وجلّ يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر) .[٤٣].

وأكّد عليه السلام على حرمة جملة من التصرفات المالية كالتطفيف في المكيال ، فقال عليه السلام : (وأنزل في الكيل : ﴿ ويل للمطففين ﴾ .(٤٤) ولم يجعل الويل لأحد حتى يسميه كافرا، قال الله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .(٤٥) .(٤٦).

كما دعا الإمام الباقر عليه السلام إلى استصلاح المال وتنمية الثروة بشكل صحيح بقوله عليه السلام: عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : (من المروءة استصلاح المال) .(٤٧) .

وقدّم اشباع حاجات المسلمين وسد ثغرات حياتهم على أهم العبادات المستحبّة وهو الحج تطوعاً ، فروي عن الإمام الباقر عليه السلام في هذا الجانب قوله : (لأن أحجّ حجة أحبّ إليّ من أن أعتق رقبة ورقبة ـ حتى انتهى إلى سبعين ـ ، ولأن أعول أهل بيت من المسلمين، أشبع جوعتهم وأكسو عورتهم وأكفّ وجوههم عن الناس أحبّ اليّ من أن أحجّ حجة وحجة ـ حتى انتهى إلى عشر و عشر وعشر ومثلها حتى انتهى إلى سبعين ـ).(٤٨).

ودعا الإمام الباقر عليه السلام إلى الترفّع عن الحرص ، والطمع ، وتجنب الأرباح والمكاسب المحرمة ، حيث روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : (... لن تموت نفس حتّى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حلّه ، فإنّه لا يدرك ما عند الله إلاّ بطاعته).(٤٩).

وكان عليه السلام يحثّ على القناعة؛ لأنها إحدى مقدمات السعادة الروحية ، وقد تجلّى ذلك في سلوكه وقوله عليه السلام فقال : (من قنع بما أوتي قرّت عينه) .(٥٠) .

ودعا إلى مراعاة القصد والوسطية وتجنّب الإفراط والتفريط في الصرف والإنفاق في مختلف الظروف وعدّه من المنجيات ، فقال عليه السلام : (امّا المنجيات فخوف الله في السر والعلانية ، والقصد في الغنى والفقر).(٥١).

كما حدّد الإمام عليه السلام لكل إنسان حقّه ، وحذّر من الاعتداء على أموال الآخرين لأنها تؤدي إلى الخلل الاقتصادي فضلاً عمّا لها من تأثيرات سلبية أُخرى في المستقبل الأخروي للفرد والمجتمع ، نلاحظ ذلك في قوله عليه السلام : (من أصاب مالاً من أربع لم يقبل منه أربع : من أصاب مالاً من غلول أو ربا أو خيانة أو سرقة ; لم يقبل منه في زكاة ولا صدقة ولا في حجّ ولا في عمرة).(٥٢).

ومن أجل تحقيق التوازن الاقتصادي ، ورفع المستوى المعاشي لعموم الناس دعا عليه السلام إلى الالتزام بالإنفاق الواجب ، فقال : (إنّ الله تبارك وتعالى قرن الزكاة بالصلاة .. فمن أقام الصلاة ، ولم يؤت الزكاة ، فكأنه لم يقم الصلاة). (٥٣).

وبيّن الآثار السلبية لمنع الزكاة ودفعها لأصحابها ومستحقيها فقال عليه السلام : (وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا منعت الزكاة منعت الأرض بركاتها).(٥٤).

وحدّد عليه السلام حدود البذل بأنه الإيصال إلى مرتبة إغناء الفقير لإنقاذه من الفقر وآثاره السلبية ، فقال عليه السلام : (اذا أعطيت الفقير فأغنه).(٥٥) .

وحث على معونة الإخوان وقضاء حوائجهم ، وحذر من التهاون في قضائها ، فقال عليه السلام : (من بخل بمعونة أخيه المسلم والقيام في حاجته ; ابتلي بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر) (٥٦).

و قال في مقابل ذلك : (ما عبد الله بشيء أحب إلى الله من إدخال السرور على المؤمن).(٥٧)

وحدّد الإمام عليه السلام موارد الانفاق المنسجمة مع الشريعة الإسلامية ، وأثبت انحراف الأُسلوب الذي قام به الحكّام حيث قاموا بتوزيع الأموال حسب أهوائهم ورغباتهم دون التقيد بالقيود التي وضعها المنهج الإسلامي .

فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله : (خمسة لعنتُهم وكلُّ نبيّ مجاب ... ، وذكر منهم : المستأثر بالفيء والمستحل له). (٥٨) .

كما حدّد عليه السلام موارد إعطاء الصدقات فقال : (إن الصدقة لا تحلّ لمحترف ، ولا لذي مرّة سوي قوي ...).(٥٩)

وكان عليه السلام يقوم بإنفاق ما يحصل عليه على الفقراء والمعوزين لتقتدي به الأُمة ، وتعرف انحراف الممارسات المالية التي كان يقوم بها الحكام والمخالفة للأسس الإسلامية والقواعد الثابتة للإنفاق .

الدليل -٢- أفعال الإمام الباقر عليه السلام للقضاء على البطالة .

رغم مكانة الإمام الباقر عليه السلام و زعامته للمدرسة العلميّة المحمدية بالمدينة المنورة و اشتغاله بالإفادة والتدريس ، إلا أن ذلك لم يمنعه من العمل بيده وعرق جبينه لكسب

لقمة العيش الحلال والرزق الطيب ، مهما كانت ظروف العمل وأوضاعه ، فقد ضرب باضطلاعه بأعمال صعبة أروع الأمثلة على بذل الجهد والجدّ في طلب الحلال ، ليكون بذلك إماماً وقدوة للعلماء العاملين ، ولجميع المؤمنين ، وهو ﷺ بهذا الفعل يشجع على العمل ويحث عليه ، وفعل الإمام حجة على الناس ويدل على مرجوحية الفعل ومطلوبيته ، يقول محمد بن المنكدر : خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة، فلقيت محمداً بن علي (الباقر)، وكان رجلاً بديناً، وهو متكئ على غلامين له موليين، فقلت في نفسي : شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا ؟ فدنوت منه، فسلمت عليه ، فسلّم عليّ ببهر وقد تصبب عرقاً ، فقلت : أصلحك الله ، لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال ؟ فخلّى عن الغلامين ، ثم تساند وقال : لو جاءني والله الموت وأنا في هذه الحال ، جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله تعالى أكف بها نفسي عنك وعن الناس ، وإنما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله . (٦٠).

التوصيات والمقترحات :

١ – أوصي بدراسة الاقتصاد الإسلامي لكونه أحد أسباب تقوية الدولة الإسلامية والمحافظة على استقرارها وازدهارها.

٢ – أوصي كل إنسان مسلماً كان أو غير مسلم بأن يأخذ الدروس والعبر من أقوال وأفعال أهل البيت ﷺ ويطبقها على مشاكله الحياتية بكافة أشكالها فإنه سيرى بكل وضوح بأن جميع الحلول عند آل الرسول ﷺ ، وقد نص الإمام الباقر ﷺ على حصر الحلول عندهم بقوله لبعض المخالفين : (شرقا وغربا فلا تجدان علما صحيحا إلا شيئا خرج من عندنا أهل البيت) .

٣ – وأوصي المسلمين بالرجوع لأهل البيت (صلوات الله عليهم) باعتبارهم أئمةً للإسلام والمسلمين .

٤ – وأوصي كافة الأخوة الباحثين والكتاب على كتابة و دراسة المباحث الاقتصاديّة الإسلاميّة و الاعتماد على أهل البيت ﷺ لكونهم المنبع الصافي الذي يغترف منه كل متعطش للعلوم المختلفة بكافة أنواعها ، فلابد من الرجوع إليهم والأخذ منهم والاستغناء عن غيرهم

كآدم سمث وغيره ، لأن أهل البيت (عليهم ألاف التحية والسلام) أفضل من جميع علماء الاقتصاد بآلاف المرات ، بل أهل البيت عليهم السلام لا يقارن بهم أحد .

٥ - وأقترح على الأخوة الباحثين بالكتابة على أدوار الأئمة المعصومين عليهم السلام العامة في العلوم المختلفة كالعلوم الاقتصادية والفيزيائية والكيميائية وغيرها ، ليرى جميع العالم العلم الذي يحمله أهل البيت عليهم السلام في صدورهم ، دون غيرهم .

٦ - كما أقترح على كل مفكر مسلم متخصص في العلوم الاقتصادية ببحث وإيجاد الحلول الاقتصادية المناسبة للتخلص من الاحتلال والاستعمار الغربي المباشر وغير المباشر وهيمنته الاقتصادية على ثروات ومقدرات بلدان المسلمين وخصوصاً في القرنين الأخيرين الثالث عشر الهجري والرابع عشر (في وقتنا الحاضر) والاستقلال التام من التدخلات الأجنبية الغربية في شؤون العالم الإسلامي .

خاتمة البحث :

قد ظهر للجميع مما تقدم إثبات الدور والفضل الكبير الذي قدمه الإمام الباقر عليه السلام للإسلام والمسلمين في حل بعض المشاكل الاقتصادية على مستوى الدولة والفرد ، وقضاؤه على أهم المشاكل الاقتصادية كالحرب الاقتصادية المسيحية على بلاد المسلمين ، والبطالة بكافة أشكالها وأنواعها ، باعتباره عليه السلام أحد الأئمة الكبار للإسلام وناطقاً رسمياً عن هذا الدين الحنيف ، مع بيان أن الحل الإسلامي للمشاكل الاقتصادية هو المرضي لجميع طبقات الناس فهو لا يهمل الفقراء من جهة ولا يتمسك بالأغنياء من جهة أخرى ، بل هو حل وسطي يرضي جميع أفراد المجتمع . علماً أن الحل الإسلامي للمشاكل الاقتصادية صالح للانطباق في كل عصر وزمان ومكان.

الهوامش

١ – محمد الريشهري ، ميزان الحكمة ، الجزء ١ ، الصفحة ٦٦٦ نقلاً عن كنز العمال : ٤٦٥، ١٨٤٢، ٩٧١٧.

٢ – إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٢،ص٣٠٢

3 -(p862 ،1993 ،U.S.A Lexicon Publications ، New websters Dictionar)

٤ – إحسان محمد حسن، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات ، ط١، بيروت، ١٩٩٩، ص٢٨٩.

٥ – هاني الياس خضر ، العراق ومحيطة العربي (دور العراق كموازن إقليمي) ، مجلة دراسات إستراتيجية ، مركز الدراسات الدولية، جامعة بغداد، العدد(٦)، ١٩٩٩، ص٥٧.

٦ – انظر كتاب الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب ، كما نقله إلى العربية الدكتور نور الدين ال علي ، فصل الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام .

٧ – ابن شهر آشوب ، المناقب ، الجزء ٤ ، الصفحة ٢١٠.

٨ – الصدوق ،علل الشرائع ، الجزء ج١ ، الصفحة ٢٣٣ --- العلامة المجلسي ، بحار الأنوار ، الجزء ٤٦ ، الصفحة ٢٣١.

٩ – ابن شهر آشوب ، المناقب ، الجزء ٤ ، الصفحة ١٩٥.

١٠ – م.ن، الصفحة ١٩٩.

١١ – الكليني ، الكافي ، ج ٦ ، ص ٤٤٧.

١٢ – معجم الغني .

١٣ – ابن منظور ، معجم لسان العرب .

١٤ – الركود الاقتصادي : وهو هبوط في النمو الاقتصادي لمنطقة أو لسوق معين .

١٥ – حسن النجفي ، القاموس الاقتصادي ، طبعة بغداد .

١٦ – الموسوعة العربية العالمية (١٩٩٩) ، الموسوعة العربية العالمية (الطبعة الثانية) ، المملكة العربية السعودية : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، صفحة ٤٢٢ ، جزء ٢ . بتصرّف.

١٧ – عبد الحافظ الصاوي ، مفاهيم خاطئة بشأن الاقتصاد الإسلامي – ماهية نظام الاقتصاد الإسلامي»، الجزيرة ، اطّلع عليه بتاريخ ١٣-٢-٢٠١٧. بتصرّف.

١٨ – ابن منظور، لسان العرب، اعتنى بتصحيحه؛ أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ج٤، ط٣، دار الإحياء للتراث الشعبي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ١٩٩٩، ص٤٤٤.

١٩ – سورة الحشر / الآية ٧ .

٢٠ – جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، ج١، ط١، ذوبي الغربي– سليمان زاد، قم–إيران، ١٣٨٥، ص٥٦٨.

٢١ – محمد سعيد طالب ، الدولة الحديثة والبحث عن الهوية ، م . س .ذ ، ص٢٦.

٢٢ – للتفصيل ينظر: سعد الدين إبراهيم وآخرون، المجتمع والدولة في الوطن العربي، م.س.ذ ص٤٢ وما بعدها.

٢٣ - راجع بحث بعنوان، المشكلة الاقتصادية بين الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الوضعي، أوجه الاختلاف وأوجه الاتفاق، للطالب : معتز عبد الله مسالمة، المكتبة الشاملة .

٢٤ - الجمال. د. محمد ... موسوعة الاقتصاد الإسلامي ص ٣٥ - دار الكتاب العربي ط ١ ١٩٨٥. وكذلك الفنجري د. محمد شوقي ، الإسلام والمشكلة الاقتصادية ، مكتبة السلام العالمية ، الطبعة ٢، سنة ١٩٨١م .

٢٥ - من أفضل الكتب التي تناقش وتعرض هذا الموضوع وتبين الحقائق كتاب . أوروبا والتخلف في أفريقيا حيث يبين فيه مؤلفه والتر رودني . دور الرأسمالية الاوروبية في نهب خيرات افريقيا. وأنها سبب رئيس في المجاعة والتخلف التي تعيشها القارة السوداء .

٢٦ - الاقتصاد الإسلاميُّ مدخل ومنهاج / الصفحة ٥١ .

٢٧ - سورة الحشر ، الآية ٩ .

٢٨ - سورة النساء ، الآية ٥٩ .

٢٩ - الشيخ علي اليزدي الحائري ، إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب ، الجزء ١ ، الصفحة ١٧٩

٣٠ - الشيخ هادي النجفي ، موسوعة أحاديث أهل البيت ﷺ ، الجزء ٩ ، الصفحة ٤٩ .

٣١ - العلامة المجلسي ، بحار الأنوار ، الجزء ٦٥ ، الصفحة ٣٣٢ .

٣٢ - رسائل الجاحظ ، الجاحظ ، الصفحة ١٠٨ .

٣٣ - الرازي ، تفسير الفخر الرازي ، الجزء ٣٢ ، الصفحة ١٢٤ .

٣٤ - تهذيب الأسماء واللغات ، الجزء ١ ، الصفحة ١٠٣ .

٣٥ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء ٩ ، الصفحة ٣٣٨ ، دار إحياء التراث العربي.

٣٦ - ابن حجر ، الصواعق المحرقة ، الصفحة ٢٠١ ، الناشر : مكتبة القاهرة.

٣٧ - البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، الجزء ٢ ، الصفحة ٢٣٢ فما بعدها ط القاهرة ، وطبعة صادر ، الصفحة ٤٦٨ --- وهامش اللمعة ، طبعة النجف ، الجزء ١ ، الصفحة ٥١ فما بعدها --- وتاريخ التمدن الإسلامي ، المجلد الأول ، الصفحة ١٣٦ وأكملها الصفحة ١٤٠ --- الدميري ، حياة الحيوان ، الجزء١ ، الصفحة ٥٣ فما بعده --- والإمام الصادق والمذاهب الأربعة ، المجلد الأول ، الصفحة ٤٥٩ عنه --- وعن العقد المنير ، الصفحة ١٨ ، وهامش الصفحة ٧ من شذور العقود ... والقصة موجودة أيضاً في أعيان الشيعة .

٣٨ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء ٩ ، الصفحة ٦٨ .

٣٩ - سورة الملك ، الآية ١٥ .

٤٠ - سورة الجمعة ، الآية ١٠ .

٤١ - سورة سبأ ، الآيات ١٠ و ١١ .

٤٢ - السيد البروجردي ، جامع أحاديث الشيعة ، الجزء ٨ ، الصفحة ٤٥٢ .

٤٣ - الشيخ الصدوق ، معاني الأخبار ، الصفحة ٢٦٢ .

٤٤ - الشيخ الكليني ، الكافي ، الجزء ٥ ، الصفحة ٧٨ .

٤٥ - سورة المطففين ، الآية ١ .

٤٦ – سورة مريم ، الآية ٣٧.
٤٧ – الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، الجزء ٧ ، الصفحة ٤٢٣ .
٤٨ – الشيخ الصدوق ، الخصال ، الصفحة ١٠ .
٤٩ – المحقق البحراني ، الحدائق الناضرة ، الجزء ١٢ ، الصفحة ٩ .
٥٠ – الشيخ الكليني ، الكافي ، الجزء ٢ ، الصفحة ٧٤ .
٥١ – الشيخ الجليل الأقدم الصدوق ، كمال الدين وتمام النعمة ، الجزء ١ ، الصفحة ٦٠٢ .
٥٢ – الشيخ هادي النجفي ، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام ، الجزء ١١ ، الصفحة ٦٧ .
٥٣ – الشيخ الصدوق ، الأمالي ، الصفحة ٥٢٧ .
٥٤ – الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، الجزء ٢ ، الصفحة ١٠ .
٥٥ – الشيخ الصدوق ، ثواب الأعمال ، الصفحة ٢٥٢ .
٥٦ – الشيخ المفيد ، المقنعة ، الصفحة ٢٤٤ .
٥٧ – مولى محمد صالح المازندراني ، شرح أصول الكافي ، الجزء ١٠ ، الصفحة ٢٧ .
٥٨ – محمد مهدي النراقي ، جامع السعادات ، الجزء ٢ ، الصفحة ١٧٤ .
٥٩ – محمد الريشهري ، أهل البيت في الكتاب والسنة ، الصفحة ٤٥٦ .
٦٠ – الحر العاملي ، وسائل الشيعة (آل البيت) ، الجزء ٩ ، الصفحة ٢٣١ .
٦١ – انظر : الشيخ عباس القمي ، الأنوار البهية ، الصفحة ١٣٩ --- ابن أبي الفتح الإربلي ، كشف الغمة ، الجزء ٢ ، الصفحة ٣٣٧ .